
قافلة الزيت
رجب ١٣٩٨هـ (يونية - يولية ١٩٧٨م)



الكروموزومات هي مكونات الخلايا فإذا ما تعرضت لزيادة أو
نقص أتى الطفل مشوهاً إما جسماً أو عقلاً أو كلاهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام : فيصل محمد البسام
المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد : عوني أبو كشك

قافلة الزيت

المجلد السادس والعشرون

محتويات العدد

١٦

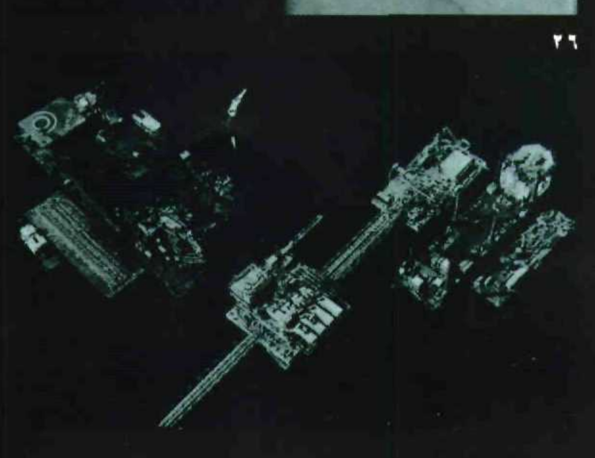
٢٠

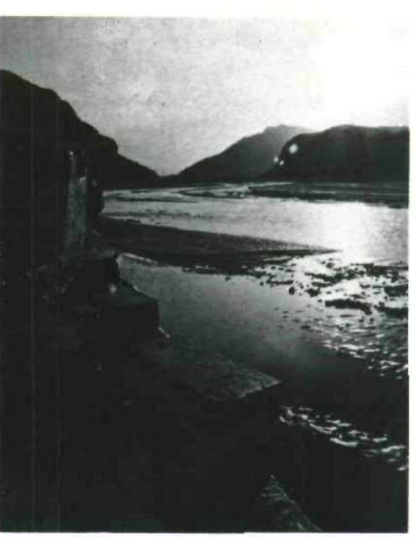


٢٦

٣٨







التعليق على صورة الغلاف الأمامي والخلفي

موقع سد مأرب الذي يمثل حضارة سادت ثم بادت.

تصميم وطباعة مطابع البنوي - جدة - المملكة العربية السعودية
DESIGNED AND PRINTED BY BANAWI PRINTERS - JEDDAH SAUDI ARABIA

النسَبُ الدّيني أولاً.. قبل نسَبِ الدَم وَالعِرق وَالصّهر

بقلم: الأستاذ أحمد محمد جمال

سألني أحد طلابي بالجامعة: يا أستاذ.. أنت تردد كثيراً أن النسب الديني أقوى وأبقى من نسب الدم والعرق، وتذكر لنا قصة ابن نوح عليه السلام.. نريد مزيداً من البيان عن النسب الديني؟

قلت للطالب السائل، وزملاؤه يستمعون معه، ان الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: **«انما المؤمنون اخوة ..»** هكذا باسلوب الحصر والقصر، أي أن وصف «الأخوة» لازم لهم، وطبيعي فيهم. وان تعرّض أحياناً لبعض الحواجز والعوائق .. فلا بد من العودة اليه، والابتعاد عن ما صرفهم عنه من شهوات غالبة، وغرائز جاذبة.

إنَّ الاخاء الديني بين المسلمين صادر من قاعدة مكينة متينة هي «الايمان» بالله عز جل، وقد لاحظنا أن الآية الكريمة تقدم وصف الايمان وتعقب عليه بوصف الاخاء .. أو تجعل المؤمنين مبتدأ، وتخبر عنهم بأنهم اخوة، وتزيد هذا الرباط الأخوي توثيقاً وتعميقاً بما ترتب عليه من رحمة الله السابغة، تنزل عليهم اذا ثبتوا على اخائهم الديني، فتشملهم بالخير والنصر: **«.. فاصلحوا بين أخويكم لعلكم ترحمون»**[١].

ولا يكتفي القرآن العظيم بآية واحدة تؤكد رابطة الاخاء الديني بين المسلمين، القائمة على قاعدة الايمان بالله تبارك وتعالى، بل نجد القرآن الكريم يمن علينا بهذه الرابطة ويسميها «نعمة» ويطالبنا بذكرها وشكرها في قول الله عز وجل:

«واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته اخوانا..»[٢]

وكما يمنّ الله تبارك وتعالى على المؤمنين بنعمة الاخاء الديني التي اسبغها عليهم، يمنّ على رسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى المسلمين معه بهذه الرابطة الأخوية الدينية في قوله عز وجل:

«وألّف بين قلوبهم .. لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم، ولكن الله ألّف بينهم.. انه عزيز حكيم».[١]

ونلاحظ في هاتين الآيتين الكريمتين: أن الشيئة الله وقدرته هما وحدهما اللتان كوّنتا هذه مرابطة الأخوية بين المسلمين، وان الارادة والقدرة البشريتين عاجزتان عن تأليف القلوب ما لم يأذن الله بذلك، حتى الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم، وهو الرحمة المهداة الى الناس: يقول الله تبارك وتعالى له: **«لو أنفقت مافي الأرض جميعاً .. ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم انه عزيز حكيم»**.

ونجد في القرآن الكريم تأكيداً آخر على قيام الأخوّة الدينية في المجتمع الاسلامي في قول الله عز وجل:

«النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمّهاتهم»[٢]. ونسأل لماذا كان النبي، صلى الله عليه وسلم، أولى بالمسلمين من أنفسهم؟ وليس من جواب إلا لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ممثّل لدين الله، ومبلّغ له، وداع اليه .. فطاعته من طاعة الله، والايمان به ايمان بالله:

«قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله». **«من يطع الرسول فقد أطاع الله»**. **«ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا»**. أي أن «الايمان» الذي هو قاعدة «الاخاء» لا يتحقق إلا بطاعة الرسول واتّباعه، وبايثاره على النفس، وعلى الولد والوالدين أيضاً .. بل على الناس جميعاً. وهذا ما يؤكده الرسول نفسه في قوله، صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ اليه من نفسه وولده ووالديه والناس أجمعين».

وَمِن هنا وجدنا القرآن العظيم — وهو بسبيل ترسيخ هذه الحقيقة: حقيقة الأخوّة الدينية، يقدم لنا قصة ابن نوح عليه السلام .. حين رفض الايمان بالله وبأبيه نوح كرسول من عند الله عز وجل، وانضم الى ركب المخالفين العصاة .. وأدرك نوحاً حنان الأبوة، وأخذته لهفة العاطفة فناداه: **«يابنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين»** وأصرّ الابن على كفره بالله ربّاً، وبأبيه نوح نبيّاً، فكان جوابه على نداء أبيه: **«قال: سآوي الى جبل يعصمني من الماء، قال: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، وحال بينهما الموج .. فكان من المغرقين»**.

وأدركت نوحاً مرة أخرى عاطفة الأبوة وحنان الدم والعرق .. فتوجّه الى الله جلت قدرته طامعاً في لطفه ورحمته، طالباً منه أن ينجي له ولده: **«رب ان ابني من أهلي، وان وعدك الحق، وأنت أحكم الحاكمين»**.

وَهنا في موقف نوح الأبوي اللاهف، أمله في نجاة ابنه من الغرق، يأتي الجواب الالهي الحاسم ليقرر حقيقة النسب الديني، وتقديمه على الأنساب البشرية من أبوة وبنوة وأمومة وأخوة ورحم، اذا اختلفت العقائد وتباينت الأديان، أجاب الله تبارك وتعالى نوحاً بقوله:

«قال يانوح .. انه ليس من أهلك، انه عمل غير صالح، فلا تسألني ما ليس لك به علم، اني أعظك أن تكون من الجاهلين»[١]. هكذا ينفي الله عز وجل أن يكون الابن الكافر من أهل الأب المؤمن، لماذا؟ لأنه فارق أباه في عقيدته وايمانه بالله: **«انه عمل غير صالح» ! !** .

والى جانب صورة نوح عليه السلام مع ابنه

يقدم القرآن العظيم صورة عتاب الله عز وجل لرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، من أجل استغفاره لعمه أبي طالب الذي رفض أن يؤمن به نبياً وبالله ربّاً واحداً لا شريك له .

كما يقدم القرآن الكريم صورة ابراهيم ، عليه السلام ، ووعده لأبيه حين رفض الايمان بنبوته وما حمل من رسالة ربه الى قومه : أن يستغفر له ويطلب له من الله العفو والهداية ، فيقول الله عز وجل : **«وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبيّن له انه عدو لله .. تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم»**(1) .

ولما كانت نهاية قصة نوح تجريد ابنه من نسبه اليه ، كانت نهاية قصة ابراهيم براءته من نسب أبيه .

اذن فالأخوة الدينية ، أو النسب العقائدي بين المسلمين أقوى وأبقى من أنسابهم وأصهارهم البشرية الصادرة عن الدم والعرق والرحم .

ولكن هذه الرابطة الأخوية الدينية الكبرى لا بد لبقائها ونمائها من سواند وروافد . ونجد هذه السواند والروافد واضحة صريحة في القرآن العظيم وسنة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وسيرته .

وقبل أن نعرض للسواند والروافد التي لا بد منها للحفاظ على هذا الرباط الأخوي الديني بين المسلمين ، نذكر بايجاز شديد توجيهات الرسول التربوية الى جانب توجيهات القرآن الكريم التي أسلفنا الاشارة اليها في حديثنا العابر .. يقول صلى الله عليه وسلم :

«المسلم أخو المسلم .. لا يظلمه ولا يسلمه» .

«مثل الأخوين كاليدين تغسل احداهما الأخرى» .

«المسلم مرآة أخيه ..» .

«الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» .

«اذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ولك مثله» .

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم : كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» .

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» .

«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً — قال أنس : يا رسول الله أنصره مظلوماً .. فكيف أنصره ظالماً ؟ قال صلى الله عليه وسلم : تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه» .

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

وهذه التوجيهات التربوية الصادرة من أجل اقامة مجتمع اسلامي مترابط متآخي لا تحتاج الى شرح مفصل . فهي صريحة واضحة في تأكيد أن كل فرد في المجتمع الاسلامي ، ذكراً كان أم أنثى ، هو لبنة قوية في بنيان هذه الأمة ، وقاعدة من قواعد كيانها . وهي صريحة واضحة في أن روافد هذا البنيان الأخوي وسوانده الحب والعدل ، والتناصح والتناصر على الحق ، والتعاون على الخير .

وإن هذه السواند والروافد تستلزم الابتعاد عما يهدم هذا البنيان أو ينخر في هذا الكيان : من ظن سيء وتجسس ، وغيبة ونميمة ، وسخرية ، وتنابز بالألقاب والأسماء المكروهة ، وطعن في الأعراض والأخلاق . فان هذه المساوىء الاخلاقية اذا فشت في المجتمع الاسلامي أفسدت صلاحه ، وحلت رابطته ، وأبدلته باخائه عداء ، وبمودته كرهاً ، وبصفائه كدراً ، وأورثت أفراده وجماعاته وأسره العداوة والبغضاء .

ولذلك نجد القرآن العظيم بعد أن وجه المؤمنين ونبههم في قول الله عو وجل : **«انما المؤمنون اخوة»** أتبع هذه الآية بثلاث آيات متتاليات تتضمن روافد الاخاء الاسلامي وسوانده ، وهي قوله تبارك وتعالى :

«يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم .. عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء .. عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب . بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون»(1) .

«يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ فكرهتموه . واتقوا الله ان الله تواب رحيم»(2) .

«يا أيها الناس : انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير»(1) .

وحسبنا أن نورد بعض الدروس النبوية التي توضح وتؤكد مكارم الأخلاق التي دعت اليها الآيات السابقة ، كقوله ، صلى الله عليه وسلم :

«اياكم والظن .. فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا» .

«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» .

«قيل يا رسول الله : ما الغيبة ؟ قال : ذكرك أخاك بما يكره — قيل : أفرأيت ان كان في أخي ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه» أي قلت عنه زوراً وبهتاناً .

وإذن فالاخاء الديني يرتكز على قاعدة قوية وحيدة ، هي قاعدة الايمان بالله ورسوله وكتابه ، فبين أيدينا وأعيننا وأسماعنا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، تؤكد هذه الحقيقة ، وتكرر تذكيرنا بها صباح مساء .

وبين أيدينا وأسماعنا وأبصارنا كذلك ، التاريخ الاسلامي في عصوره الصالحة وعهوده الرشيدة ، يذكرنا دائماً بأن أسلافنا العظام لم تزدهر حياتهم وتنتصر راياتهم إلا بأمرين : الايمان والاخاء .. الايمان العملي ، لا مجرد الشهادة ومظاهر العبادة ، والاخاء الحقيقي ، لا مجرد الخطاب والانتساب ! ! .

لقد كان أول عمل قام به الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عند مقدمه الى المدينة المنورة بناؤه لمسجد قباء ثم بناؤه لمسجد المدينة ، والمسجد دثار الايمان وشعاره .

وكان العمل الثاني للرسول الأعظم ، عليه الصلاة والسلام ، وهو يبدأ في بناء الدولة الاسلامية ، واقامة المجتمع المسلم ، أن وثق رابطة «الاخاء» بين المهاجرين والانصار ، فآخى بينهم ، وألّف بين قلوبهم ، بل أوصل بين جيوبهم ... فتقاسموا الأموال والمساكن والمتاجر .

وأثنى القرآن العظيم ثناء عاطراً على المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم في سبيل الله ، وهاجروا مع رسوله ، كما أثنى على الأنصار الذين قاسموا اخوانهم المهاجرين ديارهم وأموالهم :

فقال عن المهاجرين : **«الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله .. أولئك هم الصادقون»**(1) .

وقال عن الأنصار : **«والذين تبوّأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ..»**(2) .

وبعد ... فهذا بحث موجز عن النسب الديني ، أو الاخاء الاسلامي ، الذي يعلو نسب الدم والعرق ، وما أسعدنا به ! وأكثر ما يهدى اليه من خير ونصر ●

---

(1) سورة الحجرات / آية — ١٠

(2) سورة آل عمران / آية — ١٠٣

(1) سورة الأنفال / آية — ٦٣ .

(2) سورة الأحزاب / آية — ٩

(1) سورة هود / آية — ٤٦

(1) سورة التوبة / آية — ١١٤

(1) و (2) سورة الحجرات / آية ١١ و ١٢

(1) سورة الحجرات — آية ١٣

(1) و (2) سورة الحشر / آية — ٨ و ٩

(1) سورة سبأ / آية — ١٦

أدب المذكرات والذكريات في

بقلم: الأستاذ محمد عبد الغني حسن

يعلم المتصلون منا باللغات الأجنبية أن هنـاك كتباً كثيرة تحتويها المكتبة غير العربية تحمل في عناوينها اسماء : «المذكرات» و «الذكريات» و «اليوميات» . وهل نستطيع أن ننسى في هذا المجال كتباً مثل «مذكرات اللورد جراي» السياسي البريطـاني المعروف ، و «مذكرات هندنبرج» رئيس أركان حرب الجيوش الألمانية الذي أصبح في سنة ١٩٢٥ رئيساً لجمهورية ألمانيـا ، و «مذكرات اللورد سيسيل» السـياسي البريطـاني المشهور ، و «مذكرات سفير أمريكا في الاستانة» الذي قام بترجمته الى العربية الأستاذ فؤاد صروف ، و «مذكرات مصطفى كمال اتاتورك» الذي ترجم عن التركية . وغيرها مما لا يدركه الحصر ..

واطلاق كلمة «مذكرات» على ما يدونه المرء من الحوادث الشخصية والأحداث التي تمر به ، والتي قد يكون – في الأغلب – طرفاً بها ومشاركاً فيها – هو استعمال حديث في الانتاج الفكري عند العرب لم يعرفوه في القديم. وقد نقله المؤلفون والكتاب العرب في زماننا هذا عن الفرنجة الذين أسرفوا في اطلاقه على ما يدونون من أحداث مرت بهم ، وقد بالغ بعض المستشرقين فأطلقوا لفظ «مذكرات» على كتب لم يطلق قدماء المصنفين العرب عليها هذا الاسم . فمثلا نجد المستشرق الفرنسي أ. ل. بروفنسـال ينشر في سنة ١٩٥٥ كتاب الأمير عبد الله ، أخـو ملوك بني زيري بغرناطة في الأندلس ، المسمى في أصله المخطوط كتاب «التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة» ، فيسميه باسم «مذكرات الأمير عبد الله» لأن مؤلفه الأمير الأندلسي كتبه على هيئة مذكرات شخصية مرتبطة بظروف عزله ونفيه . وبالطبع لم يكن لهذا المستشرق الأستاذ بجامعة السوربون حق تغيير العنوان لكتاب يحمل عنواناً آخر ، إلا أن غرامه بكلمة (مذكرات) جعله ينحو هذا النحو .

وقـد جنح بعض الكتاب والأدباء اليوم الى استعمال كلمة «ذكريات» بدلا من كلمة «مذكرات» ولعل ذلك ابعاد للذكريات عن انها دونت ساعة حدوثها أولا بأول كما يتسرب الى الظن . وهو تفريق دقيق واع بين اللفظتين . فالمفهوم من «المذكرات» أنها تدون وقت حدوث الأحداث ساعة بساعة أو يوماً بيوم ، أو شهراً بشهر . على حين أن «الذكريات» هي حصيلة ما انطبع في الذاكرة ، واختزن في الحافظة بعد مرور فترة طويلة من الزمان عليها . فقد تكتب «الذكريات» في شيخوخة العمر مع أنها أحاديث عن طفولة العمر ومن هنا نجد أن بعض أدبائنا اليوم يستعمل كلمة «ذكريات» بدلا من «مذكرات» . كما يفعل الآن الأستاذ فتحي رضوان في «ذكرياته» التي ينشرها في مجلة الثقافة المصرية تحت عنوان «ذكريات الصبا» وكما يفعل الناقد الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي فيما ينشره اليوم بعنوان «ذكريات أديب» وكما يفعل الأستاذ عباس خضر فيما يكتبه وينشره تحت عنـوان «ذكرياتي الأدبية» .

ويبدو أن كلمة «يوميات» وهي ترجمة أيضـاً عن الآداب الأجنبيـة قد لقيت بعض القبول عند بعض أدبائنا المعاصرين ، فقد لجـ اليهـا توفيق الحكيم في كتابه المشهور : «يوميات نائب في الأرياف» . كما لجـأ اليها عباس محمود العقاد فيما كان ينشره من لمحات وتعليقات وخواطر في بعض الصحف تحت عنوان «يوميات» وقد صدرت أخيراً هـذه اليوميات في ثلاثة أجزاء .

واذا كانت يوميات توفيق الحكيم تعني الحدوث في زمن معين ، فان يوميات العقاد ليس لها من الزمن إلا أنها نشرت في أيام متقاربة أو متباعدة ، أما موضوعات هذه اليوميات فهي أشتات لا شأن لها بعنصر الزمن وتدوين احداث فيه على الاطلاق .

وقـد تكون بعض التراجم الشخصية والسير الذاتية في الأدب العـربي نوعاً من «المذكرات» أو «الذكريات» بمفهومها الأجنبي الحديث ، ولو أن أصحابها القدامى والمحدثين لم يطلقوا عليها اسم «مذكرات» إلا بعد كتاب «الاعتبار» للأمير العربي الفارس «أسامة بن منقذ» المتوفي سنة ٥٨٤ وهي تعد نمطاً فريداً من كتب المذكرات كما يفهمها الغربيون اليـوم . ألم يدون لنا هذا الفارس العربي معارك الأفرنج مع المسلمين والعرب ومعه الدور الذي قام بـه هو نفسه وتجاربه الذاتية في خلال المعارك ؟ ألم يرو لنا في كتابه الطريف – المطبوع في مطبعة جامعة برنستون الأمريكية سنة ١٩٣٠ – كثيراً من الاختبارات الحربية ، والملاحظات الذكية ، وأخبار الصالحين ، وأخبار الشفاء من العلل في عصره بطرق غريبة ، وأخبار الصيد والقنص التي شارك فيها بنفسه ، أو شاهدها في خرجاته مع الملك «زنكي» في الموصل ، ومع ابي الميمون في مصر ، الذي كان يملك من عدة الصيد وآلاته كثيراً جداً من البزاة والصقور والشواهين البحرية ؟ ولقد تأثر المؤرخ العربي المعاصر الدكتور «فيليب حتي» ناشر كتاب الاعتبار منذ خمسة وأربعين عاماً بالمستشرقين ، وجرى على مفهومهم في تدوين اليوميات والمذكرات فأسمى كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ بالمذكرات الخالدة .

ثم ألا يعد كتاب «سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة» المتوفي سنة ٤٧٠ نوعاً من «المذكرات» بالمفهوم الحديث ، ولو أنه في الأصل سيرة ذاتية كتبها هذا الداعية الفاطمي لنفسه ؟ .

ثم ألا نستطيع أن نعد كتب بعض الرحالة العرب نوعاً من المذكرات أو الذكريات ، أو اليوميات ؟ كالذي نراه في رحلة ابن جبير الأندلسي ورحلة ابن بطوطة ، ورحلة المقدسي في كتابه الموسوم «أحسن التقاسيم» ؟ وتتضح ملامح المذكرات في رحلة ابن جبير ، حيث يدون أحداث الرحلة باليوم والتاريخ والعام . كما تتضح تلك الملامح في رحلة ابن بطوطة ، وا

التأليف العربي

كان يذكر تواريخ الأحداث وأيامها على قلة ، لا على كثرة كما فعل ابن جبير .

وقد يكون عنوان الكتاب العربي القديم بعيداً عن فكرة الايحاء بأنه يشتمل على «مذكرات» أو «ذكريات» لصاحبه . فاذا قرأته من ألفه ليائه وجدت فيه من التجارب الذاتية للمؤلف ما يجعله من كتب (المذكرات) ، وان لم يحمل عنوان غلافه لفظتها ... مثل كتاب «طوق الحمامة ، في الألفة والآلاف» للفقيه المؤرخ الأندلسي «ابن حزم» المتوفي سنة ٤٥٤هـ . ففي هذا الكتاب الجليل تجارب شخصية تجيز ادخاله من غير اعتراض في كتب المذكرات .

وقد لا تكون «المذكرات» تجربة ذاتية لصاحبها وكاتبها ، ولكنها خواطر وآراء وأفكار خاصة للمؤلف يريد أن يبثها بين الناس على أنها نوع من المذكرات على لسان غيره . فينسبها الى كائن آخر ، مثل «مذكرات دجاجة» للدكتور اسحاق موسى الحسيني ، التي تنقد مجتمعها الدجاجي ، توصلا الى نقد المجتمع الانساني ... كأن المؤلف اللماح يريد أن ينقد المجتمع البشري بما فيه من أحقاد وأطماع وأنانية عن طريق هذه الدجاجة الواعية ومذكراتها ... ومثل كتاب «مذكرات ذرة» للدكتور عبد المحسن صالح وكتاب «مذكرات زوج» للأديب أحمد بهجت وكتاب «مذاكرات الارقش» الذي جعله المؤلف الأستاذ الكبير ميخائيل نعيمه رجلا فقيراً شائه الخلقة ، محدود المطامع ، يفلسف الحياة على طريقته الخاصة ، وينفذ الى فهم سرائر الناس من خلال ثرثرتهم — من ناحية — وصمته الدائم العميق من ناحية أخرى .

وقد كانت كتابة «المذكرات» — في الأصل — لرجال السياسة والحكم والادارة والدبلوماسية والوزارة والتاريخ ، كما فعل أحمد شفيق في كتابه «مذكراتي في نصف قرن» من ١٨٧٧ الى ١٩٣٣ ، وأحمد لطفي السيد في كتابه «صفحات مطوية» والدكتور بهي الدين بركات في كتابه «صفحات من التاريخ» ، واسماعيل صدقي السياسي المصري المعروف في كتابه «مذكراتي» والكاتب المفكر أمين الريحاني في كتابه المشهور «ملوك العرب» بجزءيه الكبيرين ، والمرحوم الشيخ حافظ وهبة في كتابه «خمسون عاماً في بلاد العرب» ، والمؤرخ عبد الرحمن الرافعي في كتابه «مذكرات عبد الرحمن الرافعي» ، وفكري أباظة في كتابه «الضاحك الباكي» ، والسفير محمد حسني عمر في كتابه «مذكراتي عن الحياة الدبلوماسية» .

ويبدو أن كتابه «المذكرات» أغرت كثيراً من أصحاب العلوم والفنون والمهن الأخرى ، وساقتهم الى التأليف بها .. فرأينا رجال الأدب والفكر يدخلون الميدان من أوسع أبوابه . فظهرت طائفة من الكتب مثل كتاب «المذكرات» بأجزائه الضخمة للعلامة محمد كرد علي الرئيس الأسبق لمجمع اللغة بدمشق . ويمتاز بصراحته البالغة وكتاب «أنا» لعباس محمود العقاد ، وكتاب «قال الراوي» للشاعر المهجري الياس فرحات وكتاب «من ذكرياتي في صحبة العقاد» للأستاذ محمد طاهر الجبلاوي ، وكتاب «مذكرات طالب بعثة» للدكتور لويس عوض ، وكتاب «تربية سلامة موسى» للكاتب سلامة موسى .

أما الأطباء فقد أدلوا بدلوهم في مجال تأليف المذكرات فظهرت «مذكرات طبيب في الأرياف» للدكتور فخر الدين السبكي ، و «مذكرات طبيبة» للدكتورة نوال السعداوي ، وكتاب «قصة حياتي» للدكتور مصطفى الديواني ، وكتاب «حياة طبيب» للاستاذ الكبير نجيب محفوظ .

ورأينا من كتب المذكرات في المحاماة كتاب «المحاماة فن رفيع» لمحمد شوكت التوني ، و «ذكرياتي في المحاماة» للمحامي الوزير السوري فتح الله الصقال ، كما رأينا للمحامي زكي العريبي بعض المذكرات والذكريات .

أما رجال التمثيل والمسرح فلم يحجموا عن دخول هذا الميدان ، فظهرت في هذا الباب كتب من أمثال «فاطمة رشدي بين الحب والفن» وهو ذكرياتها بقلمها الذكي الساخر ، وكتاب «المسرح المصري في مائة عام» للسيدة سعاد أبيض بنت المرحوم جورج أبيض ، و «مذكرات فتوح نشاطي» .

ودخل رجال الصحافة بمذكراتهم في عالم التأليف ، فظهرت كتب منها «ذكريات» للسيدة فاطمة اليوسف — أو روز اليوسف — مؤسسة مجلة روز اليوسف ، وكتاب «أسرار الصحافة» للأديب محمد السيد شوشة .

وقد تكون «المذكرات» ذكريات عن نشاط معين ، أو فترة معينة من عمر أصحابها ، أو مرحلة خاصة من مراحل حياة مؤلفيها ، أو رحلة قام بها الكاتب فدون احداث ذلك واشباهه . مثل كتاب «ثلاثون سنة في خدمة الاحسان» للراحل فتح الله الصقال ، وكتاب «ذكريات عارية» للدكتور السيد أبو النجا ، وكتاب «سندباد في رحلة الحياة» للدكتور حسين فوزي ، و «مذكرات معتقل» للأديب جميل قودم ، و «ظلام السجن» للمرحوم محمد علي الطاهر صاحب الشورى ، و «عشرة أيام في السودان» للدكتور محمد حسين هيكل وكتاب «خمسة أيام في دمشق» للشاعر علي الجندي ، و «عامان في عمان» للشاعر السفير خير الدين الزركلي وكتاب «مذكرات بلغارية» للأديب الأردني عيسى الناعوري ، و«حياة مجاور في الجامع الأحمدي» للمرحوم محمد عبد الجواد صاحب تقويم دار العلوم ، وكتاب «مكتب عنبر» للعلامة المحقق ظافر القاسمي ، و «كتاب» طفل من القرية» للكاتب الاسلامي الشهيد سيد قطب ، وكتاب «خط العتبة» للاستاذ فتحي رضوان ، وهو مذكرات ممتعة عن عالم الطفولة يسجلها صاحبها باسلوب شائق طريف .

ولا شك في أن هذه المشاركات في أدب المذكرات والذكريات — مما ذكرناه وما لم نذكره — هي من أجمل ما تعتز به المكتبة العربية في العصر الحديث ●

مَسؤوليّة الشخص جنائيّاً عن فعل الغير

بقلم: الدكتور محمود الهمشري

الواقع أن القول بوجود مسؤولية جنائية عن فعل الغير يدعو الى القلق والى التفكير في تفسير هـذا النوع من المسؤولية ومبررات تقريره ، ذلك أنه اذا أمكن قبول مبـدأ المسؤولية المدينة للمتبوع عن الأفعال الضارة التي تقع ممن يتبعه كالخادم مثلا ، فانـه لا يسوغ أبداً معاقبته بهذه الصفة طالما أنه لم يصدر منه أي فعل تناوله النظام بالتجريم والعقاب عليه . من المسّلم بـه أن المسؤولية الجنائية شخصية ، ومقتضى ذلك ألا تصيب عقوبة الجريمة سوى من ارتكبها بوصفه فاعلا أو شريكاً . وهذه القاعدة قد ترددت في توصيات المؤتمر الدولي السابع لقانون العقوبات الذي انعقد في أثينـا عـام ١٣٧٧هـ ، الموافق ١٩٥٧ ميلادي بمناسبة بحث المساهمة الجنائية ، فنص على أنه لا يسأل شخص عن جريمة يرتكبها غيره إلا اذا أحاط علمه بعناصرها ، واتجهت ارادته الى المساهمة فيها .

والملاحظ أنه في بداية القرن الثامن الميلادي كشفت الحقائق عن أسس سليمة ساعدت على تطور النظام الجنائي حتى أنه أصبح يتبنى كل متطلبات التطور الحضاري باعتباره تنظيماً لمظاهر الحيـاة الاجتماعية . وبدأ القضاء أولا والتشريع بعده — في سبيل قمع الجرائم — يعاقب أشخاصاً لم يكونوا في الحقيقة الفـاعلين الماديين للجرائم ، والذين لا يمكن أن توجه اليهم تهمة الاشتراك بمعناه القانوني . وظهرت بذلك فكرة المسؤولية الجنائية عن فعل الغير . على أنه اذا كانت هذه الفكرة لم تحظ بعناية القانون والقضاء إلا في مطلع القرن التاسع عشر ، فان أحداً لا يمكنه أن ينكر أنه كانت هناك

وعلى مر الأزمنة المختلفة محاولات كثيرة لارجاع الجريمة الى أسبابها الحقيقية . فقد روى المؤرخ اليوناني «بلوتارك» أنه في عصر «بركليس» تساءل الفيلسوف «بروتاجورس» : عندما تصيب الحربة التي يرميها أحد اللاعبين أثناء اللعب شخصاً وتقتله ، فمن الذي يكون مسؤولا ؟ أيسأل الشخص الذي سدد الحربة ، أم يسأل الشخص الذي قام بتنظيم الألعاب ، أم تسأل الحربة نفسها ؟ . والغريب أن المؤرخ المذكور لم يعطنا اجابة على هذا التساؤل . وهكذا استغلت الانسانية في كل وقت قريحتهـا في البحث عن العناصر المحددة للفصل الذي يتحقق بـه أمنها وحريتها والمؤدية الى مزيد من العدالة . وفي أول الأمر كانت الانسانية لا تعبأ باليد التي قذفت بالحجر وتعاقب الحجر نفسه ، وكذلك لم تكن تفكر الانسانية في عقاب الشخص المالك الذي تسبب الحيوان المملوك له في احداث الضرر ، وكانت تعاقب الحيوان الى أن كشفت القرون التالية أن الخطأ الخافي أو الخطأ المستتر لم يكن في واقع الأمر في الجماد أو الحيوان الذي أنزل به العقاب وانما في الشخص الذي ارتكب الجريمة مستخدماً في ارتكابها جماداً أو حيواناً . واذا كان من المقبول بـه أن يسأل مثل هذا الشخص ، فكيف لا يسأل من يخرق أحكام النظام بيد شخص آخر ؟

ربما كان هذا الاجتهاد في محاولة ارجاع الجريمة الى أسـبابها هـو الـذي استشعر معـه القـانون والقضاء بعد ذلك ضرورة الحفاظ على مبدأ شخصية العقاب كقاعدة عامة . والقول بأنه اذا كانت ثمة مسؤولية عن فعل الغير فيرجع سببها الحقيقي الى أن المسؤول قد ارتكب خطأ شخصياً . وقد فرق القانونيون بعد ذلك بين الحالات الآتية :

الحالة الأولى : ارتكاب الجريمة بواسطة شخص مسخر . وقد ضرب القانونيون مثلا بحالة رب الأسرة الذي يمتنع عن قطع تذكرة سكة حديد لولـده الحدث ، فهو يعتبر مسؤولا عن هذا الفعل الذي تناوله المشرع بالتجريم والعقاب لأنه في الحقيقة هو الذي خرق القانون دون الفاعل المادي وهو الحدث الذي لم يكن سوى مجرد أداة طيعة في يده .

الحالة الثانية : وتندرج تحت فكرة الادارة القانونية : وبموجبها يلزم الأب أو الأم أو صاحب العمل بأداء قيمة الغرامات المحكوم بها على الأحداث التابعين لهم والذين وقعت منهم الجرائم . غير أنه يجـوز لصاحب العمل في هذه الحالة أن يرجع على العامل الذي يتبعه بقيمة ما دفعه من غرامة ، وان كان الرجوع في الغالب غير منتج وقد ألقت هذه الوسيلة الميسرة لتحصيل الغرامة شيئاً من الغموض على مبدأ شخصية العقاب .

الحالة الثالثة : وتتمثل في اسناد الجرائم : وتعني هـذه الحالة اسناد المسؤولية الجنائية الى الغير ويتساءل القانونيون في هذا المقام عن كيف يتسنى معاقبة الفاعل المادي للجريمة على الرغم من تبعيته لشخص آخر عند ارتكابها ؟ . واذا كان الشخص الآخر هو المسؤول جنائياً ، ففي أي الحالات ولأي البواعث يمكن تقرير العقاب لا على أساس ارتكاب الجريمة ولكن لمجرد ترك الغير يرتكبها ؟ . وضرب القانونيون بعد ذلك أمثلة عديدة لذلك في أنظمة العمل والمرور والبناء والصحة والتموين ، فتساءل

في صراحة عمن يكون مسؤولا في حالة عدم مراعاة اجراءات الأمن في مصنع ما ترتب عليه وفاة أحد العمال به ؟ أيسأل عن تلك الجريمة مدير المصنع أم المهندس المختص أم يسأل صاحب المنشأة ؟ . وقد تقع جريمة من جرائم المرور لعدم صلاحية فرامل السيارة مثلا ، فهل يسأل سائق السيارة أم يسأل مالكها ؟ . ويعاقب النظام على دخول القاصر الذي لم يبلغ من العمر ست عشرة سنة صالة السينما لمشاهدة أحد الأفلام الممنوعة عليه نظراً لحداثة سنه ، فمن المسؤول جنائياً عن هذه ؟ أيسأل الشخص المسؤول عن رعاية القاصر أو الحدث أم يسأل الشخص الذي صاحبه الى دار السينما أم يسأل الشخص الذي يناط به مراقبة الدخول الى الصالة أم يسأل مدير السينما نفسه أم يسأل هؤلاء الأشخاص جميعاً ؟ .

وفي هذا المجال انقسمت الآراء بصدد اسناد المسؤولية الى طائفتين ، فذهبت أغلبية الآراء الى تقرير مسئولية المتبوع جنائياً عن فعل تابعه متى تضمن الفعل في الحقيقة والواقع خطأ من المتبوع نفسه أخفاه أو ستره الخطأ الظاهر الذي وقع من التابع . وذهب رأي آخر وهو الذي يمثل الطائفة الثانية الى عكس ذلك حيث أخذ بفكرة المسؤولية الجنائية بغير اشتراط خطأ من جانب الشخص المسؤول وذلك عملا بالمبدأ المقرر في النظام المدني . وقد ارتبطت هذه الفكرة في الواقع بصفة الشخص الذي يقع تحت طائلة المسؤولية والعقاب .

الحالة الرابعة : وقد وصفها القانونيون بأنها تنطوي على مخالفة حقيقية لمبدأ شخصية العقاب ، قولا بأن القانون يقرر العقاب دون أن يرتكب الشخص فعلا من الأفعال المؤثمة أو المجرمة والمعاقب عليها ، ومن غير أن يتسبب عمداً أو باهمال في وقوع ذلك الفعل من الغير . وأساس العقاب في هذه الحالة يكمن في أن المسؤول لم يمنع ارتكاب هذا الفعل حيث كان ذلك واجباً عليه .

ويقول الأستاذ «جين سلفير» القاضي الفرنسي في هذا المقام أن الأمر يبدو غريباً في نظام النظام الجنائي . وأنه ليس من العدالة في شيء ن نرفض القول بمسؤولية مرتكب الجريمة ، وتلقى تبعتها على الشخص المتبوع ، إذ ينبغي أن تقتصر مسؤولية هذا الأخير على حالة وقوع خطأ شخصي منه أو على الحالة التي يثبت فيها أنه سهل ارتكاب لجريمة . أما في غير هذه الحالات فيجب أن يسأل لفاعل المادي للجريمة لأنه هو الذي اقترفها فيتحمل بعاً العقاب المقرر لها . وعلى ذلك فانه اذا تقررت مسؤولية أمين النقل مثلا لتجاوزه في تحديد ساعات العمل لسائق السيارة مما ترتب عليه ارهاقه ، وكان أن وقعت منه جريمة قتل أو اصابة خطأ ، فانه يجب أن يسأل هذا السائق أيضاً عن تلك الجريمة اذا ثبت أنه قاد السيارة وهو في حالة سكر بيّن ، وهذا هو ما يتفق ومبدأ شخصية العقاب .

وقد اتجه بعض القانونيين الى تفسير المسؤولية الجنائية عن فعل الغير وفقاً لنظرية الاشتراك في الجريمة ، وقالوا أن الشخص المسؤول عن فعل الغير لا يعدو أن يكون شريكاً في الجريمة التي وقعت من هذا الغير . وهذا الذي اتجه اليه بعض القانونيين غير سديد ، ذلك لأن الاشتراك في الجريمة مساهمة تبعية بينما أن المسؤولية الجنائية عن فعل الغير ، أو بعبارة أخرى مسلك هذا الغير مساهمة أصلية شأنها شأن مساهمة الفاعل الأصلي في الجريمة .

واتجه البعض الآخر من القانونيين الى تفسير المسئولية الجنائية عن فعل الغير على أساس من نظرية الفاعل المعنوي وهو الشخص الذي يسخر غيره في تنفيذ الجريمة بحيث يصبح في يده أداة يستخدمها في تحقيق العناصر المادية والمعنوية التي تقوم عليها الجريمة . وهذا الاتجاه بدوره غير سليم ، إذ أن الفاعل المعنوي وان كان يتفق مع الفاعل الأصلي في أنه يسيطر مثله على تنفيذ الفعل المادي المكون للجريمة ، وفي أن كليهما لديه ارادة ارتكاب هذا الفعل لحسابه باعتباره مشروعه الخاص . غير أن نظرية الفاعل المعنوي تفترض كما تقدم أن شخصاً سخر آخر في ارتكاب الفعل الاجرامي مستفيداً من انعدام أهليته أو مستغلا حسن نيته . وهذا الوضع لا يتحقق في حالات المسؤولية الجنائية عن فعل الغير ، ذلك أن من يباشر تنفيذ الجريمة أهل في الغالب لتحمل المسؤولية الجنائية باركانها الثلاثة وأهمها الركن المعنوي .

وثمة رأي ثالث يفسر المسؤولية الجنائية عن فعل الغير على أساس من نظرية التتابع في المسؤولية . وتقوم هذه النظرية على استبعاد قواعد الاشتراك في الجريمة ، وحصر الأشخاص المسؤولين في نظر النظام أي القانون ، وترتيبهم وفقاً لخطة معينة بحيث لا يسأل منهم شخص ما دام قد وجد غيره ممن قدمه النظام عليه في الترتيب . والواقع أنه قد قبل بهذه النظرية عندما تعذر الاكتفاء بالقواعد أو بالأحكام العامة في المسؤولية الجنائية لايجاد حل سليم لها في جرائم معينة مثل جرائم النشر . فحيث لا يهتدى الى المؤلف يؤخذ بجرمه الناشر أو المحرر المسؤول ، فان لم يوجد أحد من هؤلاء صوب الاتهام الى الطابع أي من تولى الطبع وحقت مساءلته جنائياً . ومن هنا تنحدر المسؤولية الجنائية درجة تلو درجة عن عاتق الذين اشتركوا في اعداد المطبوع الى عاتق الذين عملوا على ترويجه من ممثلين أو موزعين أو بائعين لهذا المطبوع . وقد أخذ بهذا التفسير النظام البلجيكي . واني أرى أنه اذا كان من الجائز قبول نظرية التتابع في المسؤولية في ميدان جرائم النشر على اعتباره أنه في مثل هذه الجرائم قلما يتيسر معرفة المؤلف أو الكاتب ، وأنه من العسير ازاء كثرة المتدخلين في أعداد المطبوع ، ونشره ، وتعدد أدوارهم ، وتداخلها اثبات مساهمة أحدهم أو بعضهم في الجريمة أو احاطته بها علماً بما يجعل دوره في اعداد المطبوع أو نشره بمثابة تدخل في هذه الجريمة بحيث يمكن مساءلته عنها جنائياً . وعلى ذلك فان هذه النظرية لا يمكن اعتبارها أساساً صالحاً لتفسير المسؤولية الجنائية عن فعل الغير ، اذ أنها تقوم دائماً على أساس من المسؤولية المفترضة ، ومن ثم وجب أن يكون تقريرها أستثناء من الأحكام العامة في المسؤولية الجنائية مما لا يجوز التوسع فيه وامتداده الى جرائم أخرى .

ومن غير المعقول أن يتجه التفكير الى البحث فقط في امكان مساءلة الشخص جنائياً عن فعل الغير دون البحث أولا وقبل كل شيء في حقيقة الدور الذي يقوم به لكي تتحدد صورة المساهمة الجنائية التي يظهر فيها . ولما كان ذلك فقد أصبح من الضروري الوقوف على حقيقة الدور الذي يقوم به الشخص المسؤول جنائياً عن فعل الغير ويعتبر سبباً في الجريمة التي تقع من هذا الغير ، ثم تبين الأساس الذي ترتكز عليه تلك المسؤولية .

ولكي يتضح الدور الذي يقوم به الشخص المسؤول جنائياً عن فعل الغير ، ويتحدد الأساس الذي ترتكز عليه مسؤوليته ينبغي أن نعرض لحالتين :

أولاهما : تلك التي يكون فيها الفاعل المادي للجريمة أي الفاعل الأصلي هو في نفس الوقت الجاني الذي صوب اليه الاتهام ، وأصبح مسؤولا جنائياً عن هذه الجريمة .

ثانيتهما : تلك التي لا تكون فيها العلاقة بين الخطأ والفعل مباشرة كما في الحالة الأولى ، وانما تنشأ هذه العلاقة بالواسطة . وهذه هي حالة المسؤولية الجنائية عن فعل الغير ، أو على حد تعبير بعض القانونيين والشراح المسئولية الجنائية المسماة عن فعل

الغير . واذا طرقنا باب الاستنتاج ألفينا أنفسنا أمام أحد احتمالين : الاحتمال الأول : هو أن يكون الخطأ قد أدى مباشرة الى وقوع الجريمة . الاحتمال الثاني : هو أن يكون الخطأ قد أدى الى تحريك نشاط شخص آخر وقعت عليه الجريمة .

ولا يمكن بحال من الأحوال أن تثير المسؤولية الجنائية عن فعل الغير — وهي صورة الاحتمال الثاني — أية مشكلة من مشاكل المساهمة الجنائية مثل مشكلة تعدد الجناة مع وحدة الجريمة أو تعددهم مع تعدد الجرائم التي وقعت الى غير ذلك من المشاكل القانونية . كما لا يمكن أن تثير هذه المسؤولية أن فكرة تخالف مبدأ شخصية المسؤولية والعقوبة ، شأنها في ذلك شأن مسؤولية الفرد عن فعلة الشخص الذي يصدر عنه ، وهي صورة الاحتمال الأول ، إذ النظام أي القانون يلزم الفرد في هذا النوع من المسؤولية بأن يراقب نشاطاً آخر أو يشرف عليه ، بحيث أنه اذا ما أدخل بهذا الالتزام ، فامتنع عن القيام بواجب الرقابة أو الاشراف ، قامت بهذا الامتناع جريمة ركنها المادي هو الامتناع ، وركنها المعنوي اما أن يكون القصد الجنائي اذا اتجهت ارادته الى تعمد الاخلال بالالتزام القانوني ، أو يكون الخطأ غير العمدي اذا لم يوجه ارادته الى الاخلال بذلك الالتزام ، غير أنه كان في استطاعته أن يوجهها الى تنفيذه ، الأمر الذي يجعل مفهوم المسؤولية الجنائية عن فعل الغير سهلا . ويصبح من غير المستساغ في امكان تحقق مسؤولية جنائية ترتكز على شيء آخر غير الخطأ ، وهو عنصر شخصي بحت ، بحيث لا يعاقب عليه النظام أي القانون إلا بسبب النتائج التي ترتبت عليه ، وهذه النتائج هي التي تكشف عنه . وبذلك يمكن العقاب على الخطأ اذا كانت احدى نتائجه قد تحققت بسبب فعل الغير . وتكون المسؤولية الجنائية في هذه الحالة قد ارتدت الى من ارتكب الخطأ الأول . على أنه اذا كان نشاط الغير الذي أفضى الى هذه النتيجة هو بدوره نشاط خاطىء فمن الممكن عقابه كذلك ، وفي هذه الحالة نكون أمام مسؤوليتين : المسؤولية الأولى عن الخطأ الخافي أو المستتر أو الخطأ الحقيقي كما يسميه البعض ، وهو خطأ الشخص المتبوع الذي قصده المشرع بتوجيه الخطاب بالقاعدة القانونية .

المسؤولية الثانية عن الخطأ الظاهر ، وهو خطأ الشخص التابع الذي باشر تنفيذ الفعل المادي المكون للجريمة . وهنا تبدو المسؤولية الجنائية عن فعل الغير بوجه عام فكرة عادية تحددت فيها صورة المساهمة الجنائية التي يظهر فيها الشخص المسؤول . وتصبح أيضاً هذه المسؤولية مشكلة عادية من مشاكل المسؤولية الجنائية طالما فسرت على ضوء الأصل العام الذي يقيم المسؤولية الجنائية على أساس الخطأ ، وهو ما يجب أن يكون عليه التفسير كلما أمكن ذلك .

وتصبح المسؤولية الجنائية عن فعل الغير بسيطة في النظام أي القانون ، وان كانت معقدة في الواقع بسبب يرجع الى تدخل شخص آخر في العلاقة بين الخطأ والفعل . وهي بهذا الفهم لا يمكن تفسيرها على أساس من نظرية الاشتراك أو وفقاً لنظرية الفاعل المعنوي الى غير ذلك من النظريات والآراء الأخرى التي جاء بها القانون . والقضاء وتفسير المسؤولية الجنائية عن فعل الغير في الواقع يكون بارجاع هذه المسؤولية الى مسلك شخص مخالف لواجب يفرضه نص التجريم أي النص الذي يتضمن جريمة من الجرائم ، على المخاطب بالقاعدة النظامية أي القانونية بأن يعمل على منع وقوع فعل معين ، ويعتبر هذا المسلك سبباً في النتيجة الاجرامية ، وشرطاً لا غنى عنه لتحققها .

ونسجل في هذا المقام ما قاله القانونيان الفرنسيان «ج. استبفاني» ، «ج. ليفاسير» من أن المسؤولية الجنائية عن فعل الغير لا تعتبر استثناء من مبدأ شخصية العقاب ، إذ الواقع أن رب العمل أو الشخص المتبوع بوجه عام انما يعاقب عن خطئه الشخص الذي كشف عنه فعل الغير التابع . كما نسجل في صراحة ما قرره القانونيان الفرنسيان «ج. فيدال» ، «ج. مانيول» من أن المتهم لا يسأل عن فعل الغير إلا في الظاهر ، إذ في الحقيقة أنه يعاقب بسبب خطئه الشخصي أو بسبب اهماله في الاشراف الذي كان مطلوباً منه ليتأكد من تنفيذ الالتزام الملقى على عاتقه أصلا .

وفهمنا للمسؤولية الجنائية عن فعل الغير على هذا النحو يكشف عن الشروط التي يجب توافرها لقيام تلك المسؤولية ويمكن حصرها فيما يلي :

الشرط الأول : وجود التزام قانوني بمنع النتيجة الاجرامية التي يعاقب عليها النظام أي القانون .

الشرط الثاني : استظهار مسلك ارادي وخاطىء لدى الشخص المسؤول يتحقق لديه به معنى الامتناع ، ويتعارض مع المسلك الذي ينتظره المشرع منه .

الشرط الثالث : توافر علاقة السببية بين مسلك الشخص المسؤول وبين النتيجة التي تحققت مباشرة بفعل الغير . والبحث في علاقة السببية في جريمة الشخص المسؤول جنائياً عن فعل الغير باعتبارها من جرائم الامتناع ذات النتيجة دقيق للغاية ، ذلك أن الامتناع سلوك سلبي في حين أن النتيجة ظاهرة مادية وايجابية . غير أن الواقع أن الامتناع ليس عدماً ، وانما هو سلوك انساني نابع عن الارادة . والذي يميز الامتناع عن العمل هو أن الامتناع ليس حقيقة مادية بحتة بل هو أيضاً حقيقة قانونية من ناحية أنه يفترض لتحققه تعارض العمل الذي يصدر من الشخص مع العمل الذي كان ينتظره منه المشرع واضع النظام أي القانون .

ويهمنا في النهاية أن نؤكد بعد هذا الذي قدمناه أن فكرة المسؤولية الجنائية عن فعل الغير لا تنطوي ، ولا يجوز أن تنطوي على مساس مبدأ شخصية المسؤولية والعقاب ، ذلك المبدأ الذي استمد من فكرة المسؤولية والعقاب نفسها . فالأصل ألا يسأل الشخص إلا عمّا يفعله هو ، وأن يثبت في حقه أنه قد تعمد اتيان الفعل الذي جرمه النظام أي القانون ، أو أن هذا الفعل قد وقع بخطئه غير العمدي . واذا كان المقنن واضع النظام المعمول به في دولة ما قد خرج أحياناً في تقرير المسؤولية الجنائية عن فعل الغير على بعض الأحكام المقررة في النظام الجنائي ، فهذا الخروج انما ينسحب على الركن المعنوي في الجريمة ، فيفترضه ، تيسيراً لاثباته ، ويعني هذا الافتراض نقل عبء الاثبات من عاتق سلطة الاتهام الى عاتق الشخص المسؤول جنائياً عن فعل الغير ، ويمكن لهذا الأخير أن يتخلص من هذه المسؤولية باثبات قيام سبب من الأسباب القانونية النافية لها أو المانعة منها . ولما كانت المسؤولية المفترضة على هذا النحو استثناء من الأحكام العامة ، فان تقريرها لا يكون إلا بنص صريح .

المسؤولية عن فعل الغير في الفقه الإسلامي

والقاعدة العامة في الفقه الاسلامي أن العقوبات حدوداً كانت أو تعزيرات شخصية ، بحيث لا توقع إلا على من ارتكب الجريمة ، وانما قد يسأل الشخص المتبوع مدنياً فقط بالضمان عن أفعال تابعه سواء كان هذا التابع ابناً أو أجيراً أو تلميذاً فلا يسأل المتبوع جنائياً عما يرتكبه هؤلاء من جرائم فكل نفس بما كسبت رهينة ●

د. محمود الهمشري — الرياض

الظل والضوء

للشاعر: محمد بن علي السنوسي

أعيش في الظل أو في الضوء سيان ... خرافة كل مفتون بها فان

الظل والضوء ألوان وأصبغة ... لا باهت ثابت منها ولا قان

وانما النفس يدنيها ويبعدها ... عن الحقيقة لو فكرت أمران

فهم ووهم ولا شيء خلافهما ... الوهم من مارج والفهم روحاني

فان ركبت جناحاً وانطلقت به ... محلقاً عبر آفاق وأكوان

فلا تظنن أن الأرض قد ذهبت ... وأنها خليت من كل انسان

الأرض ثابتة والنفس ذاهبة ... وأنت منها وفيها عائد فان

ضحكت من زمني هزؤاً وسخرية ... وربما ضحك المجني للجاني

ترّف شم الروابي نضرة وندى ... وملء أعماقها نيران بركان

وتغضب القمة القعساء ان سقطت ... منها النسور وأضحت وكر غربان

فعش حياتك مرفوع الجبين ولا ... ولا تكن عبدها في أي ميزان



دور البحث العلمي في التقدم الحضاري

إن التقدم الحضاري الذي أخذ العالم يشهده منذ نحو قرن من الزمن أو يزيد ما كان ليظهر لولا جهود العلماء القدامى وأبحاثهم الجادة التي أجروها بقدر ما وسعتهم الحيلة وأسعفهم الحظ . وعلى أسس تلك الأبحاث والتجارب قام العلماء في العصر الحاضر بتطوير الوسائل والمعدات ، واستنباط الطرق والوسائل المتقدمة لاستخدامها في الصناعة والزراعة والطب والاقتصاد ، وفي أعماق الأرض وقيعان البحار وفي الفضاء .

وما كان العلماء المعاصرون ليكلّوا في بحثهم المتواصل لتوفير حياة أفضل ، تجمع بين المتعة والرخاء . ويأتي في مقدمتهم العلماء العاملون في شؤون الطاقة وتوفير الوقود لمختلف الصناعات القائمة حالياً والتي يقدرون لها أن تقوم في المستقبل.

ويأتي الزيت في مقدمة مصادر انتاج الطاقة في الوقت الحاضر ، وربما سيظل كذلك لبضع عشرات من السنين أو الى أن يظهر مصدر آخر أفضل منه .

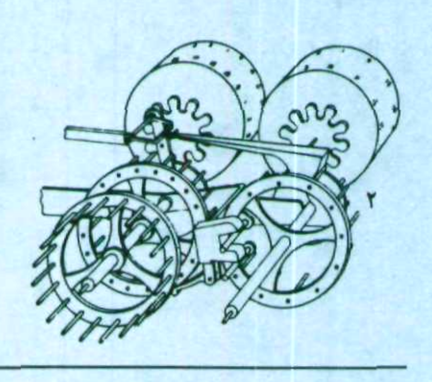
وبالادراك الواعي لما يجري حوله ، استطاع الانسان أن يتكيف مع البيئة التي يعيش فيها ، ويسخّر الموارد والقوى الطبيعية لما فيه منفعته . وقد أثبت علم الرياضيات منذ أن كان أرقاماً حسابية بسيطة أنه أحد أهم أعمدة التقدم الحضاري والتقني خلال سائر العصور ، وبه استطاع العلماء الاستمرار في بحثهم الدؤوب للحصول على مزيد من مختلف أنواع المعرفة .

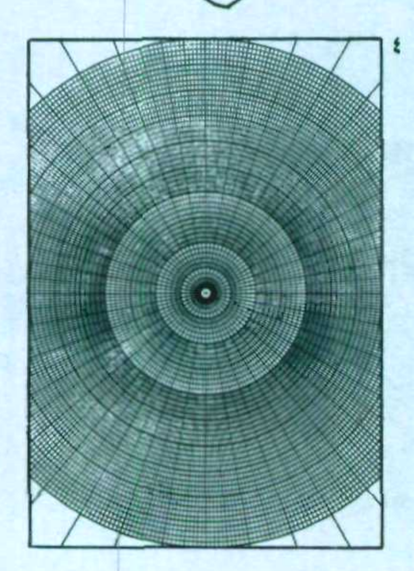
ومع الزمن صارت الأرقام تأخذ مكانها الأساسيّ في مختلف المجالات وخاصة الصناعية والانتاجية ، وما أكثرها ، وأصبح للآلات الحاسبة الالكترونية دور بالغ الأهمية في المختبرات الحديثة نظراً للدقة في العمل والسرعة في الانجاز اللذين تمتاز بهما. وبالآلات الحاسبة الحديثة أصبح من الممكن الحصول ، وبسرعة فائقة ، على مختلف مقاييس المواد والعناصر اللازمة لصناعة ما ، مثل الحجم والوزن والوقت والكثافة واللزوجة والتبخر والسيولة وغير ذلك كثير ، وخاصة في مجال الصناعة . فما أن تبدأ عملية الانتاج بشكل تجاري وتأخذ السلعة طريقها الى السوق حتى يرجع الخبراء الى الآلات والأرقام كي يفحصوا المواد المنتجة ويختبروها ويقارنوا كفاءتها بما وضعوا لها من مواصفات ومقاييس .

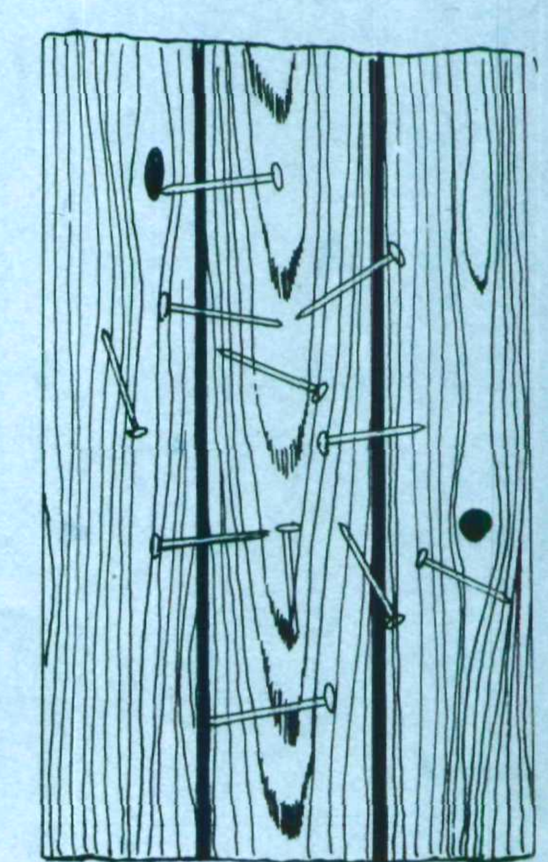
وقد تبدأ الأعمال الصناعية الضخمة بأفكار بسيطة وتسير بخطى وئيدة ثم تتطور تدريجياً أثناء مرورها بالتطبيقات العملية المتعددة . ففكرة انتاج غاز أو وقود سائل من الفحم مثلا ، لا بد لها من أجهزة ومعدات علمية متقدمة ومعقدة . وهي غالباً ما تبدأ صغيرة في احدى زوايا المختبر ثم تنمو وتتطور لتصبح معملا صغيراً يصلح لاجراء التجارب العملية ، ثم يتحول الى معمل رائد له ذات الصفات التي للمعمل التجاري الانتاجي .

وأثناء هذه التجارب والتطبيقات تموت أفكار ويولد غيرها ، وقد لا يصل مرحلة النضج منها أكثر من واحدة في كل عشر . لكن العمل يستمر حتى بلوغ الهدف المأمول والغاية المرجوة من وراء الفكرة أو التجربة ●

ابراهيم أحمد الشنطي – هيئة التحرير
عن مجلة « ذي لامب »





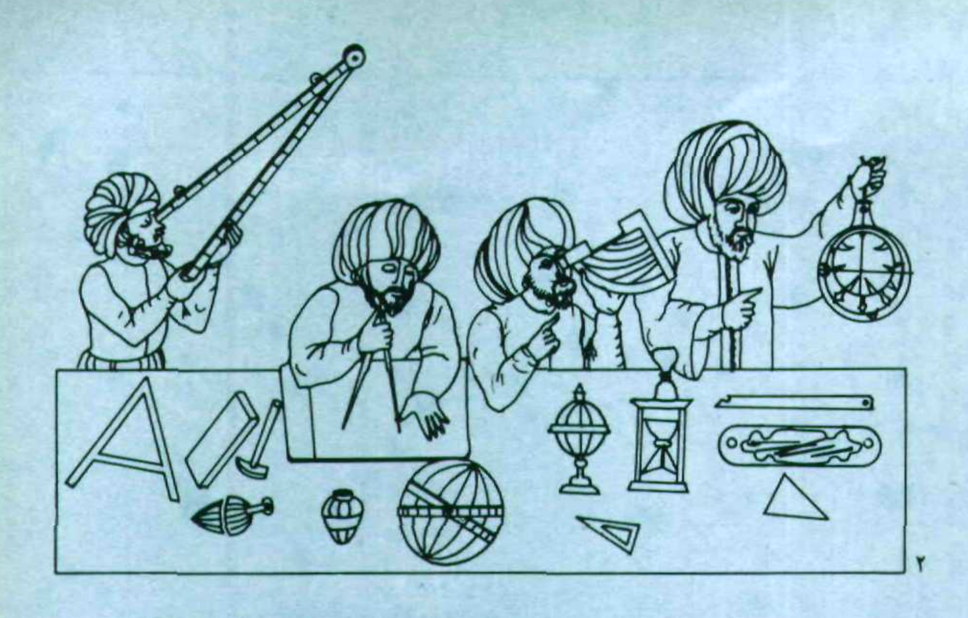


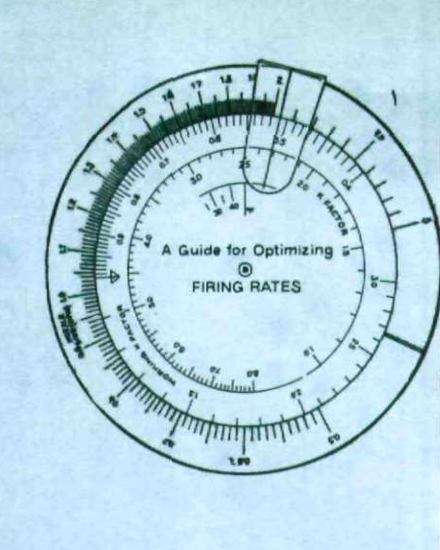
١ – توصل الرياضيون الى معرفة القوانين التي تتحكم في احتمال سقوط عدد من المسامير بعد خط معين في لوحة خاصة اذا ما قذفت عليها جزافاً .

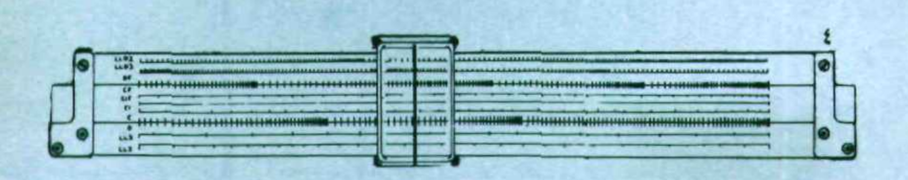
٢ – ابتكر العالم الفرنسي «باسكال» هذا الجهاز لتيسير الأعمال الحسابية وكان ذلك في القرن السابع عشر . وقد جعل للعجلات (الدواليب) مسامير تتشابك وتنفصل حسب المسألة الحسابية المطلوبة .

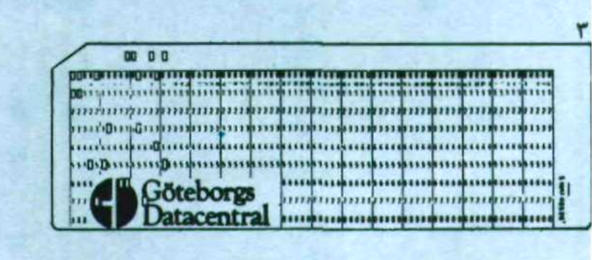
٣ – مستطيلات مرقمة من الخشب ابتكرت في مطلع القرن السابع عشر وساعدت على تسهيل الأعمال الحسابية .

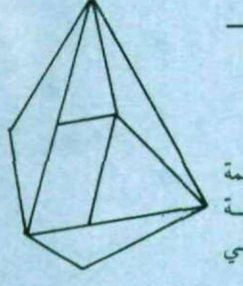
٤ – بطاقة لتسجيل المقاييس على مدى ٢٤ ساعة .

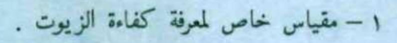


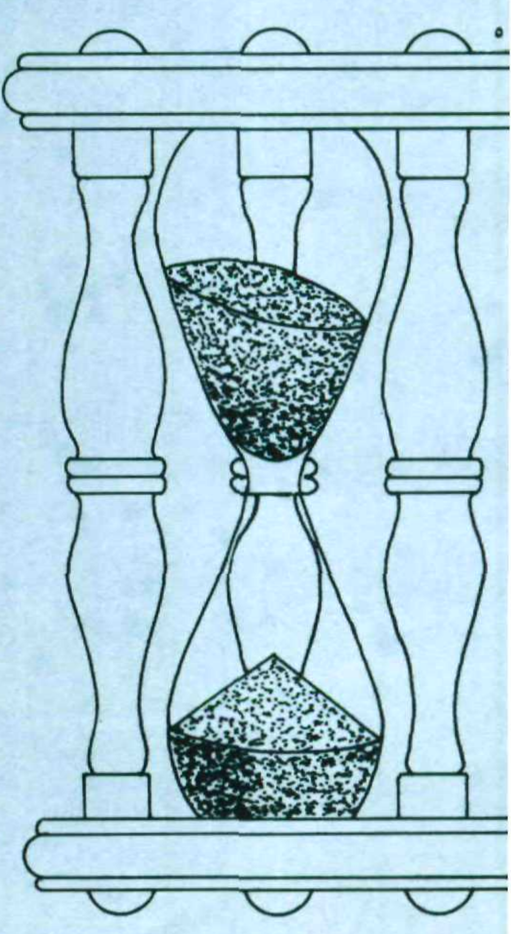












١ – مقياس خاص لمعرفة كفاءة الزيوت .

٢ – ساهم العلماء والفلكيون المسلمون بأعمال مهمة في التقدم الحضاري . وقد استخدموا البوصلة والاسطرلاب وكثيراً من الأدوات العلمية التي ابتكروها بأنفسهم .

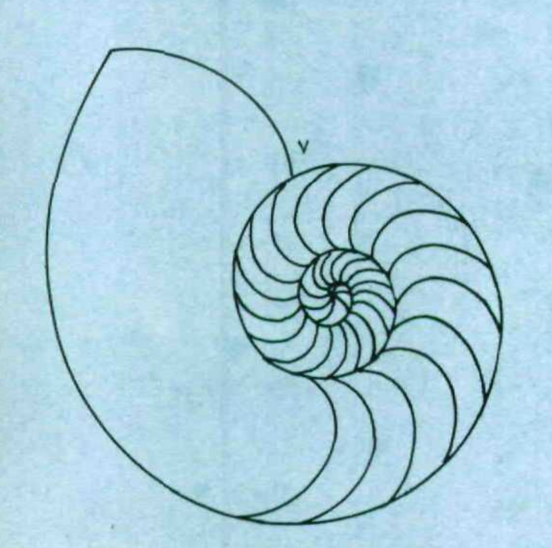
٣ – يستخدم هذا النوع من البطاقات لتلقيم المعلومات اللازمة للآلات الحاسبة الالكترونية .

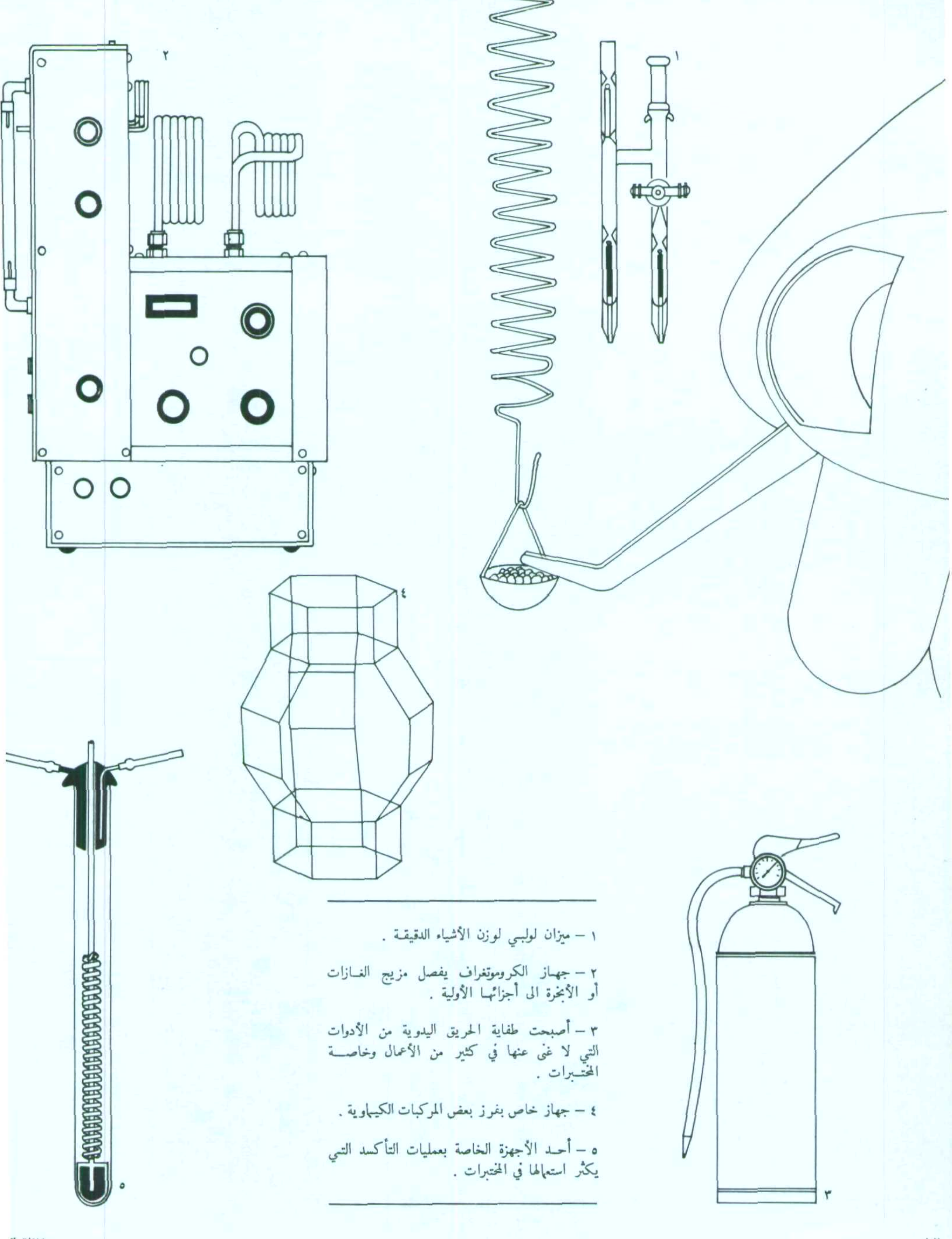
٤ – لقد أفادت المسطرة الحاسبة في حل كثير من العمليات الرياضية .

٥ – الساعة الرملية – أداة قديمة استعملها السلف لمعرفة الوقت .

٦ – لقد كشفت دراسة هندسة الأجسام الصلبة عن نظام الذرات وتركيبها في بلورات الكريستال .

٧ – ان اتساق الخطوط الدائرة في الحلزونة ، وهي من الحيوانات البحرية ، أوحى للعلماء بابتكار نظم وأشكال هندسية تعتمد على الخطوط اللولبية .





١ – ميزان لولبي لوزن الأشياء الدقيقة .

٢ – جهاز الكروموتغراف يفصل مزيج الغازات أو الأبخرة الى أجزائها الأولية .

٣ – أصبحت طفاية الحريق اليدوية من الأدوات التي لا غنى عنها في كثير من الأعمال وخاصة المختبرات .

٤ – جهاز خاص بغرز بعض المركبات الكيماوية .

٥ – أحد الأجهزة الخاصة بعمليات التأكسد التي يكثر استعمالها في المختبرات .

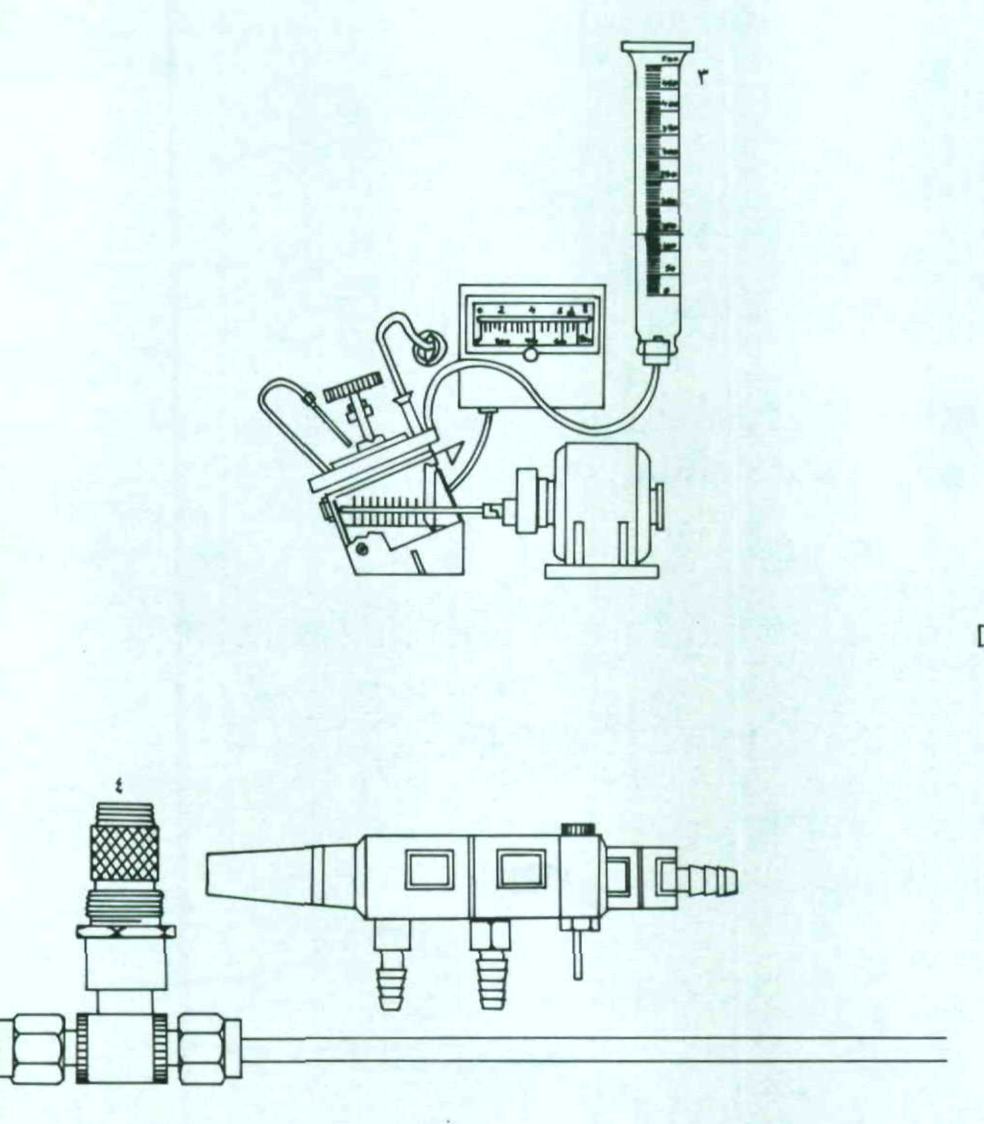


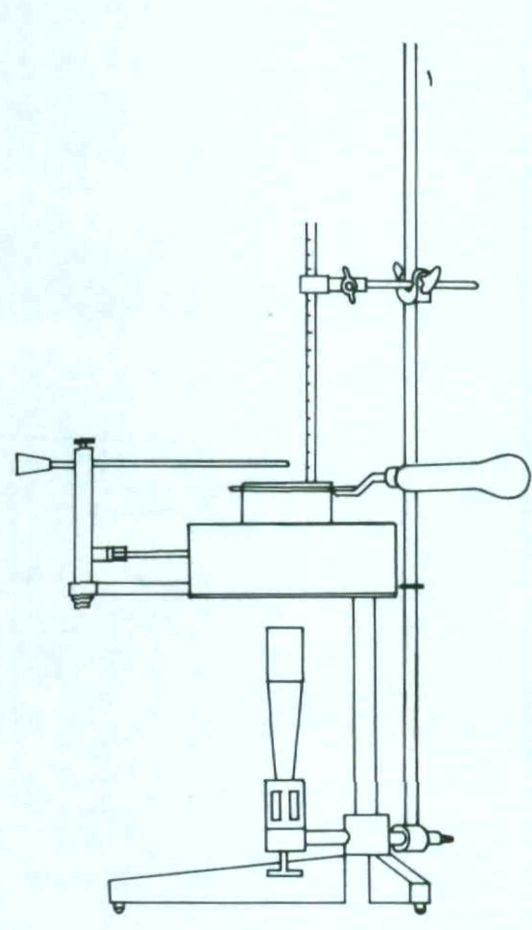
١ – جهاز لفحص الزيوت ومعرفة مدى قابليتها للترسب في المحركات .

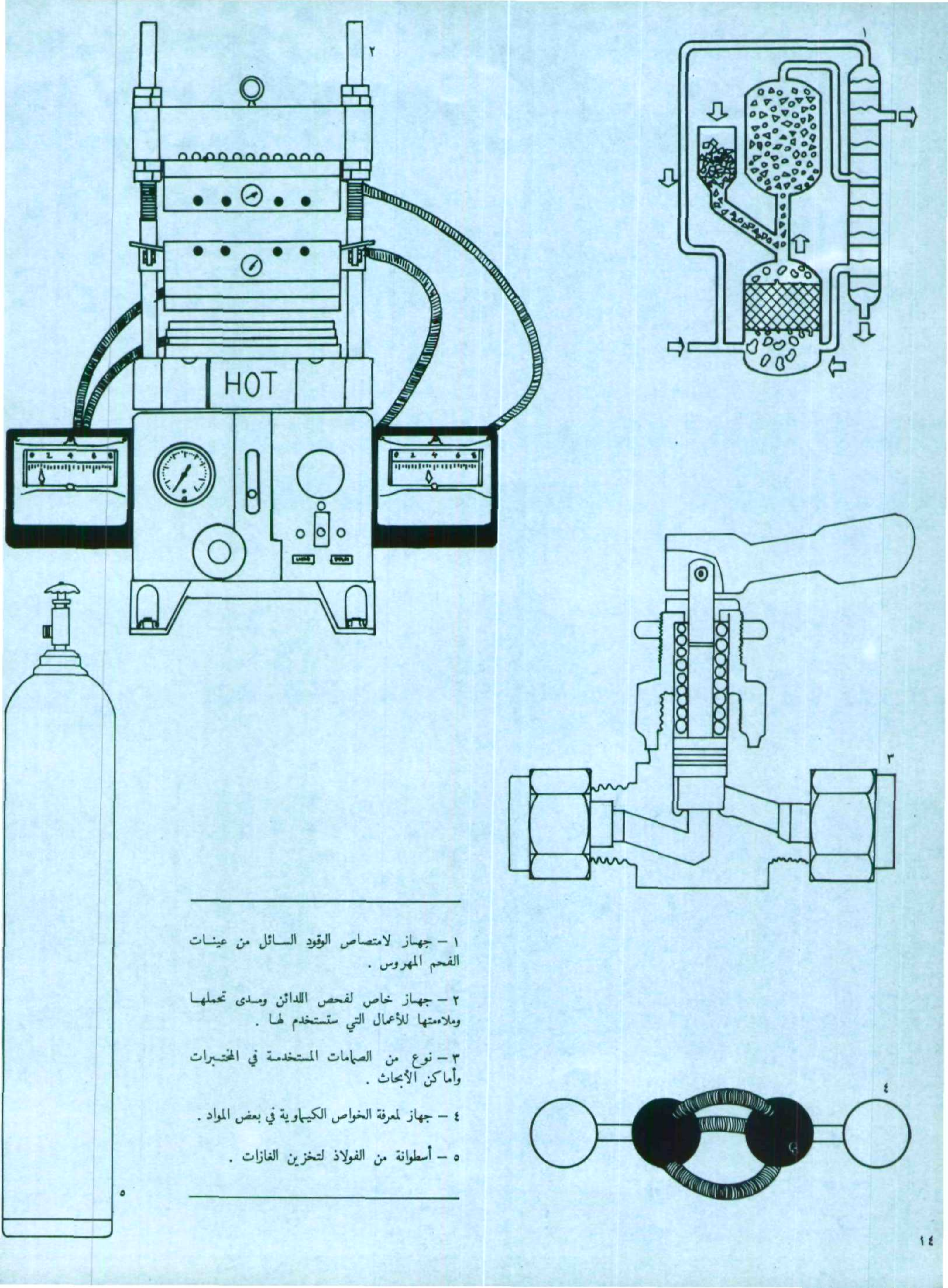
٢ – أصبحت الاتصالات بمختلف أجزاء العالم مهمة سهلة . وباستخدام أشرطة «الفيديوتيب» أمكن الاطلاع على المؤتمرات والأبحاث العلمية .

٣ – جهاز يبين درجات الحرارة التي يمكن أن تشتعل فيها أبخرة الزيت اذا ما بلغتها .

٤ – أجزاء من جهاز يستخدم لمعرفة محتويات عينة بترولية بواسطة الاشتعال .







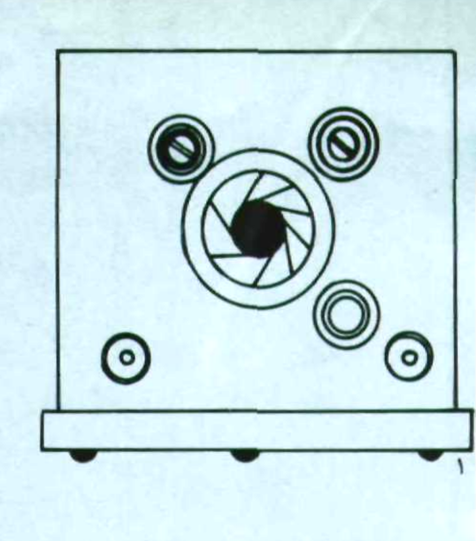
١ – جهاز لامتصاص الوقود السائل من عينات الفحم المهروس .

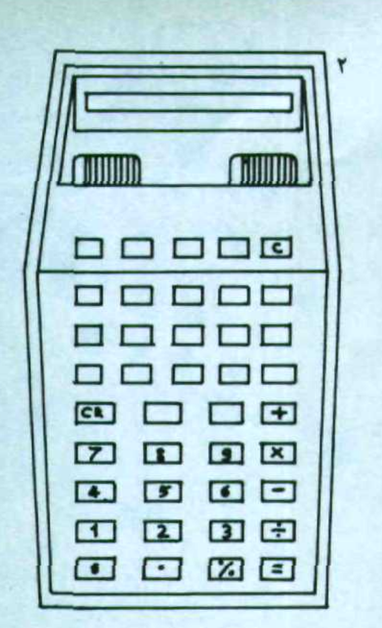
٢ – جهاز خاص لفحص اللدائن ومدى تحملها وملاءمتها للأعمال التي ستستخدم لها .

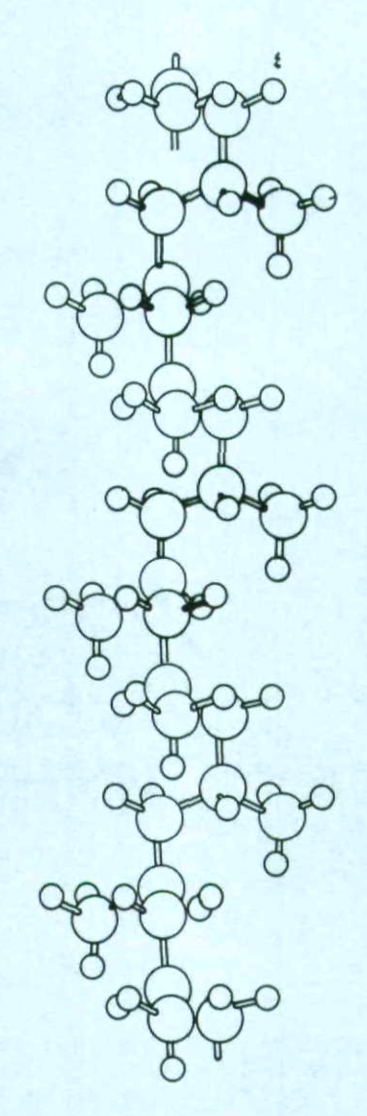
٣ – نوع من الصمامات المستخدمة في المختبرات وأماكن الأبحاث .

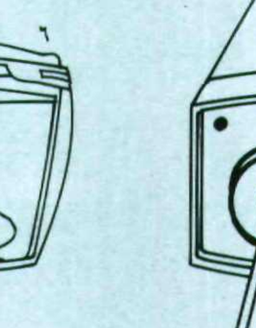
٤ – جهاز لمعرفة الخواص الكيماوية في بعض المواد .

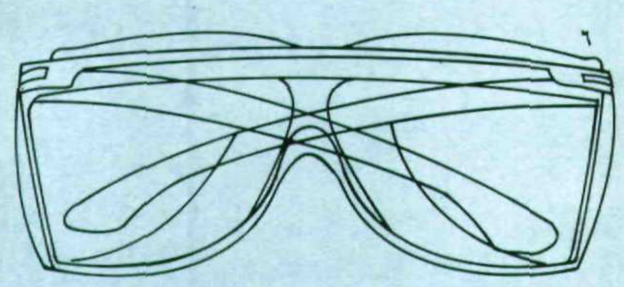
٥ – أسطوانة من الفولاذ لتخزين الغازات .











١ – ابتكر العلماء أداة تستخدم ظواهر التداخل الضوئي لتحديد طول الموجات ومعامل الانكسار وكذلك تقدير نعومة أسطح المواد المصقولة .

٢ – آلة حاسبة الكترونية حديثة .

٣ – فرشاة قد تجد شبيهاً لها في البقالات ، لكنها ضرورية لتنظيف الأوعية الزجاجية في المختبر .

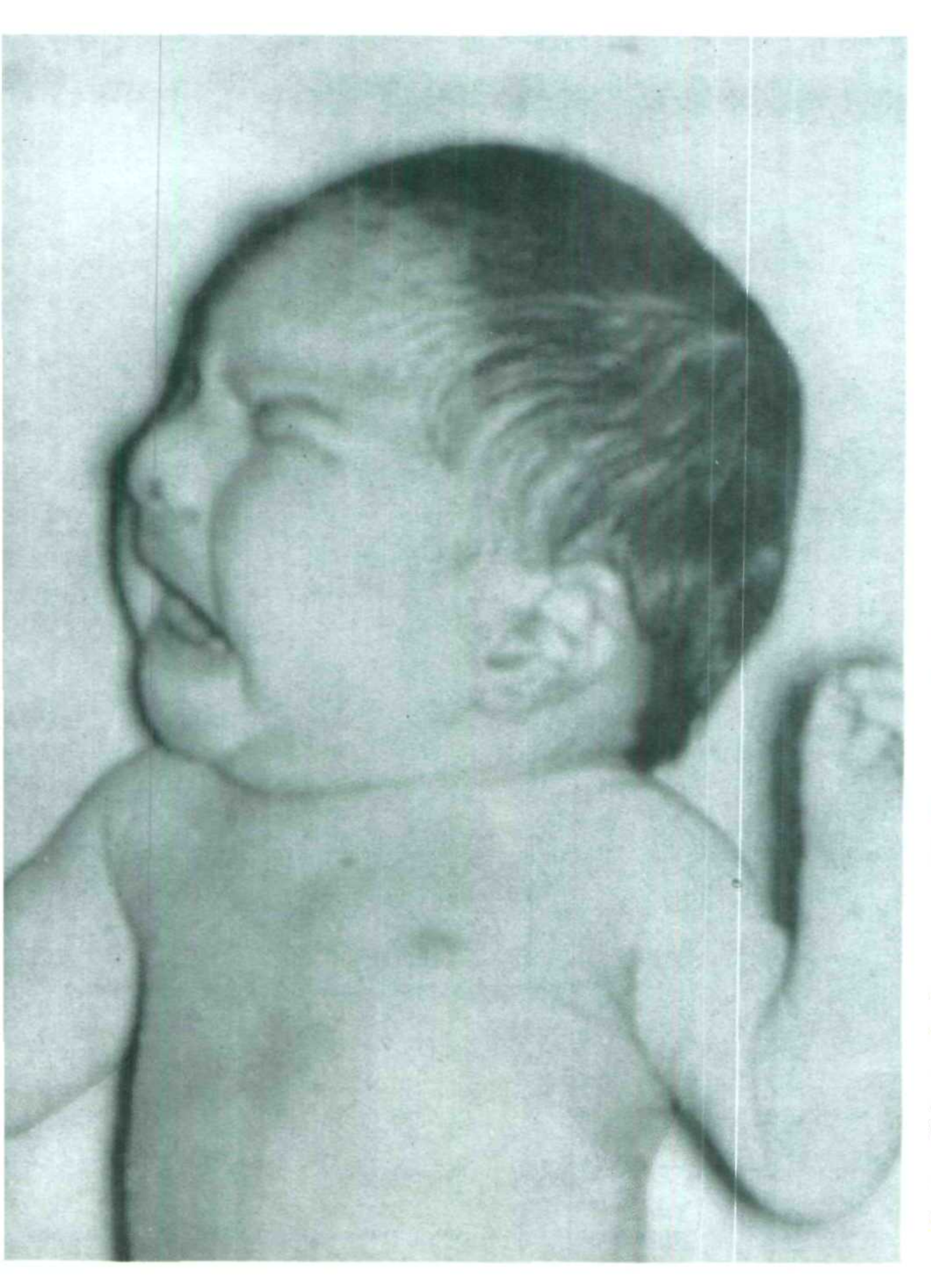
٤ – نموذج لعرض دقائق الذرة في جزيئات مبلمرة .

٥ – تعتبر أشعة لازر من الاكتشافات العلمية الحديثة التي باتت تستخدم في عدد من المجالات العلمية المتقدمة .

٦ – يلتزم العاملون في الورش والمختبرات باستعمال نظارات السلامة لوقاية أعينهم .

الكروموزومات والجينات

بقلم: الدك



أصبح علم الوراثة هذه الأيام في مقدمة علوم الطب الحديث ، ومن أكثرها اثارة . وانطلاقاً من دراسات الدكتور «مونديل — Mendel » على النباتات ، ومروراً بالتجارب التي قام بها الدكتور «بوفاري — Boveri » . مع بداية هذا القرن ، تم الاكتشاف الذي قام به كل من «تجو — Tjio » و «ليفان — Levan » حيث استطاعا اثبات أن كل خلية من خلايا الانسان تحتوي على ستة وأربعين «كروموزوما — chromosome » مرتبة في أزواج ، وأن الزوج الأخير منها مختلف في الذكر عنه في الأنثى ، حيث تحتوي خلية الذكر على ما يسمى « XY » بينما تحتوي خلية الأنثى على « XX » . وقد أطلق على هذا الزوج من الكروموزومات اسم «الكروموزومات الجنسية sex chromosome» لأنها تحدد الجنس .

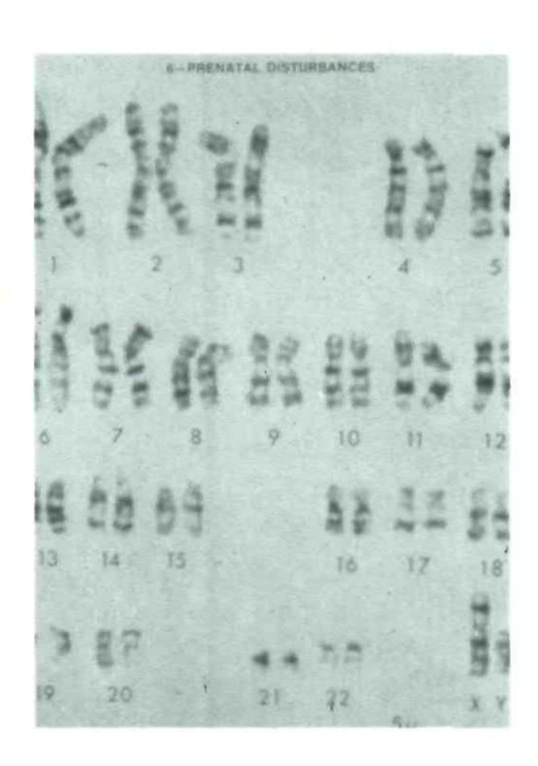
ومنذ ذلك الاكتشاف ، خطا علم الوراثة خطوات واسعة بحيث أصبح يعتبر من أهم علوم الطب الحديث .

ما هو الكروموزوم ؟

الكروموزوم جسم خيطي الشكل ، يوجد منه في كل خلية انسانية ستة وأربعون ، ويمكن رؤيته بالمجهر المكبّر عند تحضير الخلايا بطرق معينة . ويحمل كل كروموزوم آلافاً بل ملايين من مواد بروتينية يأخذ كل منها مكاناً خاصاً ، ويقابل تكويناً بروتينيا مشابهاً لـه على الكروموزوم المقابل . وتتخصص هذه المادة بتكوينها وموقعها بنقل صفات معينة من جيل الى جيل .

كيف تنتقل من جيل إلى جيل ؟

ـد ملوح

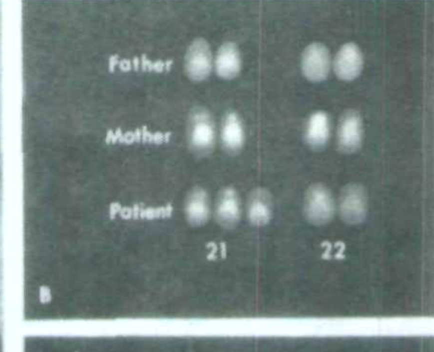


الأمراض المتسببة عن الكروموزومات

chromosomic diseases

لقد أبدع الخالق بعظمته نظاماً بالغ الدقة في تكوين خلقه ، حيث وضع في كل خلية من خلايا البشر هذا العدد من الكروموزومات فأصبح الانسان في أحسن تقويم ، واذا ما زاد هذا العدد أو نقص ، أو اذا ما زاد أو نقص جزء من كروموزوم ، كانت النتيجة في الغالب طفلا مشوهاً ، جسماً أو عقلا أو كلاهما معاً . أما السبب في حدوث مثل هذه الاختلافات فبعضها معروف وبعضها لا يعرف العلم له سبباً . فالتعرض للاشعاعات الذرية أو بعض الكيماويات قد يسبب تكسراً في الكروموزومات مما قد يترتب عليه انجاب طفل مشوه . وفيما يلي أمثلة لبعض هذه الأمراض :







مَـرَض دَاون أو المـَـرَض المنغولي

Down's syndrom or mongolism

يصاب بهذا المرض عادة الطفل الذي يولد لامرأة متقدمة في السن أي فوق الخامسة والثلاثين ، وان كان هذا يمكن أن يحدث في سن دون ذلك . وفي هذه الحال يكون الطفل صغير الحجم عند الولادة ، ضعيف العضلات ، خافت البكاء ، مستدير الرأس متباعد العينين ، صغير الأنف ، ضيق الفـم ، بارز اللسان . وربما يكون مصاباً بأمراض خطيرة في القلب ، بالاضافة الى اصابته بضعف في النمو الجسمي والعقلي .

وينتج هذا المرض عادة عن كروموزوم زائد في الوضع الواحد والعشرين أي أن الخلايا تحتوي على سبعة وأربعين كروموزوماً ، ثلاثة منه في الوضع ٢١ .

مَـرَض إدوارد

Edward's syndroms

وينتج هذا عن كروموزوم زائد في الوضع الثامن عشر . ويكون الطفل في هذا الحالة صغير الحجم عند الولادة ، مشدود العضلات ، صغير الرأس ، بارز من الخلف ، ضامر الذقن . وقد يكون سقف حلقه مفتوحاً . وفي هذه الحال يموت الطفل خلال الأشهر الأولى من العمر .

مَـرَض D أو بَـاتو

syndrome or Patau syndrome

ويحدث هذا المرض نتيجة كروموزوم زائد في الوضع الثالث عشر من كروموزومات الخلايا . ويكون الطفل في هذه الحال مشوهاً في معظم أعضاء جسمه ، وقد يموت في خلال السنة الأولى من العمر .

مَـرَض مـواء القط

cat cry syndrome

ومن غرائب هذا المرض أنه عندما يولد الطفل يكون صوت بكائه أشبه بمواء القط ، ووجهه مستديراً وفمه صغيراً ، وفي هذه الحال يكون هذا الطفل متخلفاً ذهنياً وقد أثبتت الدراسات أن هذا المرض ناتج عن نقص أو كسر في الكروموزوم الرابع .

هذا وهناك أنواع أخرى من الأمراض قد يتسبب فيها اختلاف الكروموزومات ولكن ضيق المجال لا يتسع للحديث عنها .

الجينـات وطـرق انتقـالها

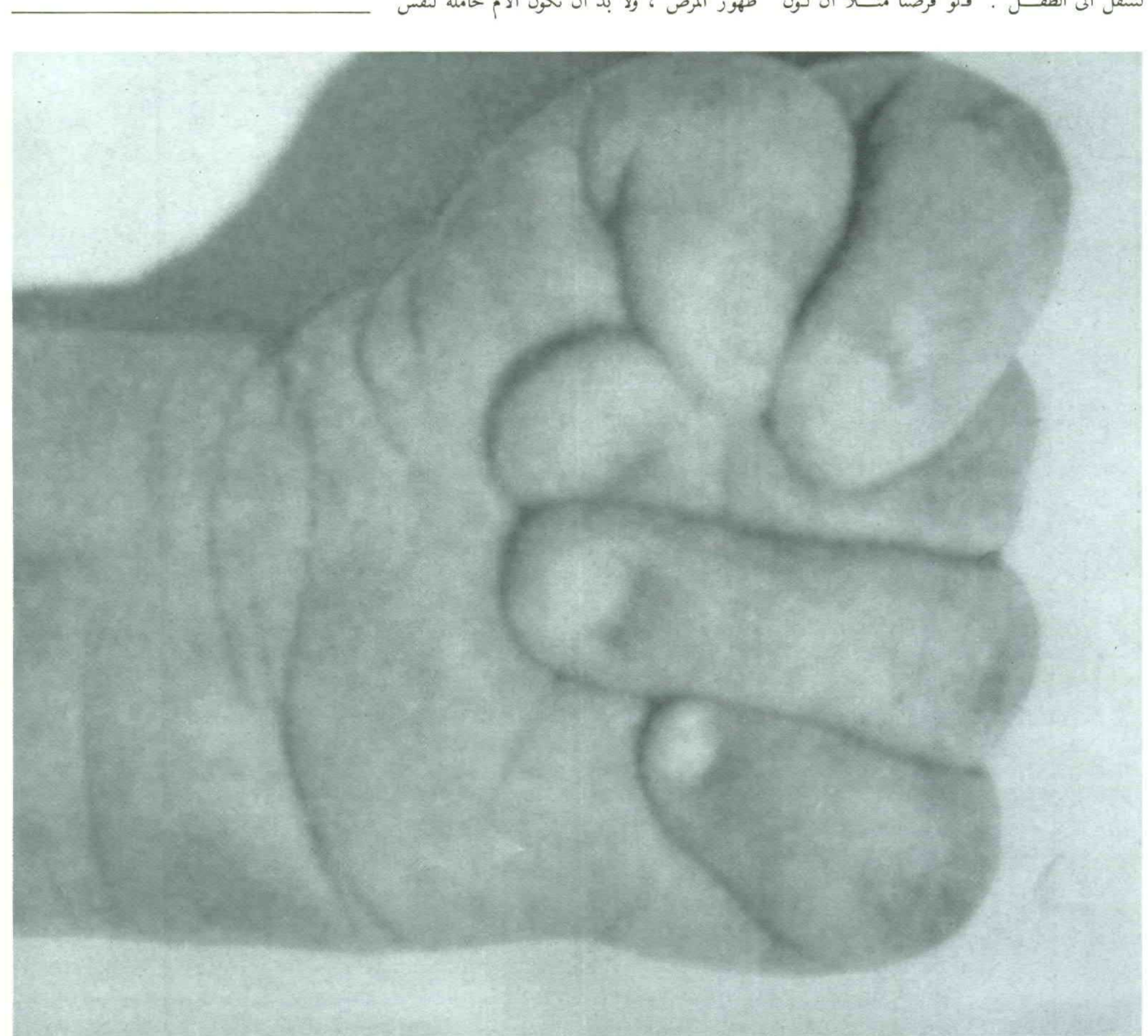
ذكرنـا سـالفاً أن الجينـات محمولة عـلى

الكروموزومات ، وهنا نذكر أن كل زوج من هذه الجينات متخصص بنقل صفة معينة من الوالدين الى الطفل . وسواء أكانت صحية هذه الصفة ، أم مرضية فانها محمولة على اثنين من هذه الجينات ، حيث يأخذ الطفل جيناً لكل صفة من والديه . فالحيوان المنوي يعطي نصف هذه الجينات ، كما تعطي البويضة نصفها الآخر .

وتختلف الجينات باختلاف مقدرتها على نقل صفة معينة ، فبعضها يحمل ما يسمى بالصفة القوية — dominant وبعضها ضعيف — recessive ولانتقال صفة أو مرض ذى صفة قوية ، يكفي أن يحمل أحد الجينين — هذه الصفة لتنتقل الى الطفل . فلو فرضنا مثلا أن لون العين الأزرق ينتقل بصفة قوية فانه يكفي أن يحمل أحد الوالدين هذه الصفة لتنتقل الى طفلهما ، ولكن لو فرضنا أن هذه الصفة تنتقل لجين ضعيف فانه يجب أن يعطي كلا الوالدين هذه الصفة حتى يصبح المولود ذا عينين زرقاوين .

وينطبق هذا المثل على كثير من الأمراض ، فلو أن رجلا كان حاملا لجين مرض ينتقل عن طريق الصفة القوية ، فانه من الممكن أن تنتقل هذه الأمراض الى أطفاله حتى ولو كانت الأم سليمة ، وكل طفل يحمل هذه الصفة يكون مصاباً بالمرض . أما اذا كان الأب حاملا لصفة ضعيفة فانه يستطيع أن ينقل هذه الصفة لابنه ولكن دون ظهور المرض ، ولا بد أن تكون الأم حاملة لنفس الصفة أو لنفس الجين حتى يمكن اصابة الأطفال بذلك المرض . والأمثلة كثيرة على كلا النوعين . غير أن أهمها مرض خلايا الدم المنجلية — siskle cell anemai ، وأنيما البحر الأبيض المتوسط — thalassemia هذا وهناك تفاعل بين البيئة والوراثة ، فالاصابة ، أو التعرض لبعض الفيروسات قد ينتج عنها تغيرات في الكروموزومات ، كما أن بعض الأمراض الوراثية لا تظهر إلا بوجود عوامل في البيئة تساعد على اظهارها ●

د. أحمد ملوح — الولايات المتحدة





شهد القرن السادس الميلادي ، مولد الرسول الكريم محمد ابن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذي سرعان ما وحدت دعوته الجزيرة العربية في أقل من عقدين من الزمن ، وامتدت حتى بلغت فرنسا غرباً والصين شرقاً في أقل من مئة عام تلت .

وقد انهار سد مأرب ، الذي كان يعتبر أعجوبة هندسية في ذلك العصر . وان كان المؤرخون قد اختلفوا في أسباب انهياره فقال بعضهم ان السبب كان زلزالا قوياً ، وقال آخرون انه المطر الشديد الذي نزل في ذلك العام ، وقال غيرهم ان الجرذ قد نبشت أسفله فانهار ، وقيل غير ذلك مما يحتمل الشك والتأويل ، و الله ، جل شأنه ، قد قال في كتابه العزيز ، وقوله الحق : **«لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل»**[1] .

سد مأرب

أحد أعمدة الحضارة في اليمن السعيد ، أقيم قبل الميلاد بنحو ٧٠٠ عام ، وظل قائماً ١٣٠٠ سنة يسقي الناس والزروع حتى جاء أمر الله فأرسل عليه السيل فدمره ، فتلفت الزروع وأقفرت السهول ، وبادت حضارة سادت ردحاً من الزمن ، وكان لها في التاريخ مقام وشأن .



موقع السد

تقع بلدة مأرب ، حيث كان يقوم السد ، الى الشمال الشرقي من صنعاء ، عاصمة اليمن ، وهي بلاد الأزد قديماً . ويقال بأن مأرب اسم لقصر كان هناك ، وقيل هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ . وقد تحدث «المسعودي» عن السد فقال : وكان هذا السد من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب ، وكان سافله سبعين وادياً ، ومات قبل أن يستتمه فأتمته ملوك حمير بعده . وقيل بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين مثعباً (مسيل الحوض(. وقيل هو بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج إلا من جهة واحدة ، فكان الأوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك ، مع ما يفيض من مياه السيول ، فيصير خلف السد كالبحر . فكانوا اذا أرادوا سقي زروعهم فتحوا من ذلك السد بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وطريقة هندسية بديعة فيسقون ثم يسدونه اذا أرادوا . وجاء في معجم البلدان عن خراب سد مأرب

كان شاهد حضارة ازدهرت فصار أثر مدنية اندثرت

وقصة سيل العرم : بأنه أخرب الأمكنة المعمورة في أرض اليمن ، وكان أكثر ما أخرب بلاد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب وعامة بلاد حمير بن سبأ .

ذكر مأرب في الشعر

ورد ذكر مأرب في قول كثير من الشعراء فقال المثلّم بن قرط البلوي :

ألم ترَ أنّ الحيّ كانوا بغبطة — بمأربَ اذ كانوا يحلونها معاً
بلي وبهراءُ وخولانُ اخوةٌ — لعمرو بن حاف فرْع من قد تفرّعا

وقال الأعشى في انهيار السد اذ أتى عليه سيل العرم فدمّره :

ففي ذاك للمؤتسي أسوة — ومأربُ عفّى عليها العَرِمْ
رُخام بنته لهم حمْيَرٌ — اذا ما نأى ماؤهم لم يَرِمْ
فأروي الزّروعَ وأغنامَها — على سعة ماؤهم قد قُسِمْ
وطار القيُول وقيْلاتُها — بِيَهْماءَ فيها سرابٌ يَطِمْ
فكانوا بذالكُم حِقْبَةً — فمال بهم جارفٌ مُنْهَزِمْ

وقال السليك بن السلكة :

أمعتنقي ريب المنون ولم أرِعْ — عصافيرَ واد بين جأش ومأرب
واذعرَ كلاباً يقود كلابَه — ومرجة لماّ التمسها بمَقنب

مملكة سبأ

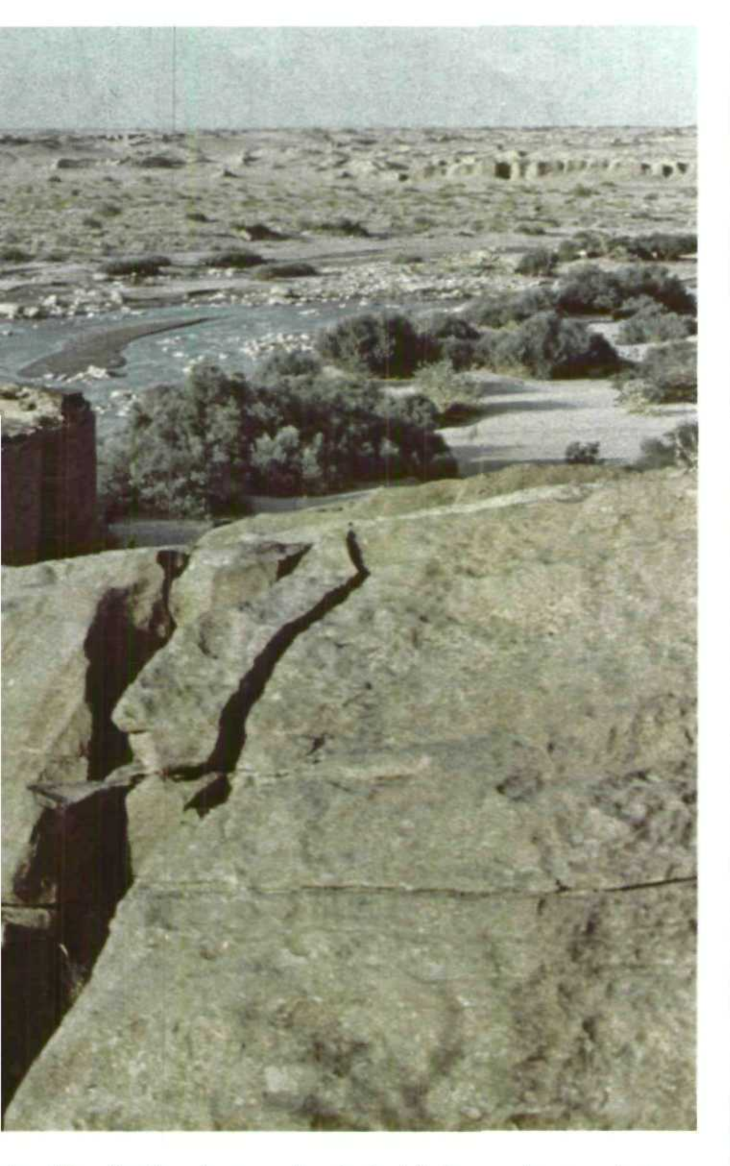
كانت مملكة سبأ قبل انهيار السّد غنية رخية يعيش أهلها حياة رغيدة سعيدة . ويعزو المؤرخون أسباب ذلك الى موقعها التجاري المتوسط بين الشرق والغرب ، وخاصة تجارة البهارات والتوابل والعطور والصمغ واللبان والبخور . وقيل أن بعض أنواع الصمغ والعطور كان المصريون يستعملونها في التحنيط ، كما كان الرومان واليونان يكثرون في طلبها . وقيل أن قصور الملوك ، في العصور الوسطى كانت تضمّخ بها كما كان البخور وما شاكله يوقد في ردهاتها تطييباً لهوائها في المناسبات الرسمية . وكان الناس في جنوب الجزيرة العربية ينسجون الحكايات الغريبة عن المصاعب والأخطار التي كانوا يواجهونها أثناء جمعهم لهذه العطور والأعواد والصمغ بغية الترغيب فيها والتهويل في مشقة الحصول عليها .

غير أن أشجار المر والبخور واللبان لم تكن ، في الواقع ، هي الثروة الزراعية الرئيسية في مملكة سبأ وانما كانت أهم المحاصيل التي يصدرونها الى الخارج . أضف الى ذلك أنها ربما كانت تنبت بريّة وبدون أي عناية بها ، كما يظن بعض الباحثين .

وكذلك لم يكن سد مأرب المصدر الوحيد للمياه ، إذ أن خبراء ذلك العهد قد حفروا العديد من الآبار وأقاموا شبكة متطورة للمياه لري المزروعات على جانبيها ، إلا أن السد كان معجزة هندسية أقامها أولئك الأوائل في تلك الحقبة من الزمن فكانوا الرواد في ذلك المضمار .

وكان سد مأرب يمتد ، حسب تقدير الخبراء اليوم ، نحو ٥٥٠ متراً عبر واد يخترق منطقة جبلية. ويقدرون بأن ارتفاعه كان حوالي أربعة أمتار ونصف المتر فوق مجرى الماء . غير أن المؤرخين الأقدمين قد ذكروا ، في بعض الحالات ، أن طول السد كان حوالي ١٥٠٠ متر (حسب مقاييس اليوم) وارتفاعه نحو ٣٠ متراً . غير انهم ربما كانوا قد أضافوا الى طوله بعض الأساسات المتداخلة في التلال على طرفيه أو بعض القنوات التي كانت تصب فيه .

ومن الآثار التي لا تزال باقية يمكن القول بأن طرفي السد ، من الشمال والجنوب ، كانا يرتكزان على أساسين قويين من الحجارة والطين ، وكان الماء يتفرع من السد بواسطة شبكة محكمة من القنوات . وكانت القناة الرئيسية من الناحية الشمالية ، وتمتد نحو ١٧٠٠ متر تقريباً . وكانت



مزودة بفتحات يخرج منها الماء فيسقي الزروع على جانبيها ويغلقها المزارعون حين يشاؤون .

تاريخ بناء السد

يرجع تاريخ انشاء السد الى القرن السابع قبل الميلاد أيام كانت مملكة سبأ في أوجها . ومن بعد السبئيين جاء الحميريون وكانت لهم كذلك حضارة زاهرة فصانوا السد وحافظوا عليه مدة طويلة .

ويتحدث المؤرخون عن أولئك الأقوام فيقولون بأنهم كانوا على جانب من حسن الخلقة ، متوسطي القامة ، يميل لونهم الى الأبيض ، أنوفهم قصيرة مستقيمة . وكانوا يقيمون في بيوت تتكون من عدة طوابق لها نوافذ مشبكة برقائق رهيفة من المرمر لا تحجب النسيم ولا الرؤية ، وتُمكّنُ القاطنين من مشاهدة المارة وعابري السبيل والقوافل التجارية التي كانت تمر بهم ، بين الحين والآخر ، حاملة معها تجارة الشرق أو الغرب ، ومتخذة من بلادهم ما يمكن أن يسمى باصطلاح اليوم : محطة استراحة ، يقيلون فيها ويبيعون ويبتاعون .

وإذا كانت الزراعة أساس ازدهار مملكة سبأ ، فقد كانت التجارة هي مصدر ثروتهم وغناهم . فقد كانت سبأ المركز التجاري الذي لا بد أن تمر به بضاعة الشرق وهي في طريقها الى بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط . فكانت قوافل الجمال تحمل حرير الصين ومنتوجات شرقي أفريقيا



وبضاعة الهند من قرفة وفلفل وتوابل وبهارات وذهب وأحجار كريمة . وكان أهل سبأ هم التجار الذين لهم اليد العليا في عملية المبادلة حيث كانوا يشكلون حلقة الوصل بين الشرق والغرب . وتذكر كتبُ التاريخ أن أحد الرحالة قد مرّ بسوق سبأ في عام ٦٠ قبل الميلاد وسجل ما شاهده فيها من بضاعة الترف والغنى كالثياب المزركشة والملابس الزاهية والمطارح المطرزة بخيوط الذهب ، والموصلين – وهو نسيج قطني رهيف ينسبه البعض الى الموصل – والأغطية والأحزمة والأوشحة والدهون والعطور والزيوت ذات الروائح الطيبة ، وكذلك البخور واللبان وجذور النباتات وعيدانها الزكية الرائحة ، هذا بالاضافة الى بعض أنواع الحبوب والمأكولات والأسلحة والأدوات وغير ذلك من أسباب العيش والترف .

ولكن يبدو أن الحظ لم يحالف الحميريين كما حالف السبئيين من قبلهم ، كما أنهم كانوا أقل خبرة من أسلافهم في علم السوائل وحركتها وهندستها . أضف الى هذا ظهور الديانة المسيحية التي لم تشجع في بادىء الأمر استعمال الروائح والعطور والبخور أثناء القيام بالطقوس أو المراسم الدينيــة .

وقد سار الحميريون ، في بادىء الأمر ، على خطى أسلافهم السبئيين في استخدام وسائل التحكم في المياه وصيانة السد وشبكات الريّ لفترة طويلة من الزمن . إلا أن هذه الخبرة ، أخذت تخبو شيئاً فشيئاً مع الأيام حتى أصبح من الصعب على القائمين بأمور البلاد الاستمرار في أعمال الصيانة









بوجـه عام وصيانة السـد بوجـه خاص .

وفي عام ٤٥٠م . تهدم جانب من السد فأعيد ترميمه واصلاحه ، وفي عام ٥٤٢م تهدم جانب آخر فرمم وأصلح ، غير أنه عاد وتهدم في أواخر القرن السادس الميلادي ، ولم يرمم بعد ذلك . وكان الخراب الذي حصل فيه بفعل سيل العرم الذي أرسله الله على أهل تلك البلاد لما أعرضوا عن أمر ربهم وتنكروا لنعمه وجحدوا احسانه .

يقول ياقوت الحموي في «معجم البلدان» عن خراب السد وسيل العرم بأنه : «غرّق البلاد حتى لم يبق من جميع الأرض والكروم إلا ما كان في رؤوس الجبال والأمكنة البعيدة مثل ذمار وحضرموت وعدن ، ودهيت الضياع والحدائق والجنان والقصور والدور وجاء السيل بالرمل وطمّها فهي على ذلك الى اليوم ، وباعد الله بين أسفارهم ، كمـا ذكروا ، فتفرقوا عباديد في البلدان» . وقد رحل قوم منهم الى المدينة «فابتنوا فيها الآطام وغرسوا النخل ، فهم الأنصار والأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة العنقاء» وتفرق عنهم جماعة نزلوا مكة ، ومنهم من مضى الى الشام وعُمان .

وبانهيار السد الذي كان يحفظ مياه الأمطار لتوزع ، فيما بعد ، على بلاد مأرب ، أصبحت تلك البلاد قاحلة لا خصب فيها . فاذا نزل المطر على رؤوس الجبال انحدر سيلا جارفاً على سفوحها متجهاً الى الصحراء حيث يختفي في رمالها ، ومن ثم اختفت الأشجار والخضار وتحركت الرمال بفعل الرياح تطمر ما بقي من زروع .

مـأرب اليـوم

الزائر لبلدة مأرب اليوم يجدها ، تقريباً ، بقية من آثار قديمة . يزرع أهلها ، في موسم الأمطار ، شيئاً من الحبوب كالقمح والشعير والسمسم ، ونوعاً من البرسيم . وصار أهل تلك المنطقة يستوردون معظم طعامهم بعد أن كانوا في الزمن القديم يصدرون الكثير من الأقوات لمختلف بلدان الجزيرة العربية والشام .

على أن الحال قد تتغير في المستقبل ويعود لمأرب بعض مجدها القديم .

فهنـاك مشروع كبير للبحث عن الماء واحيـاء الزراعة من جديـد في تلك المنطقة . ويجري هذا العمل بالتعاون مع دولة الامارات العربيـة المتحدة . وقد بدأ فريق من الخبراء السويسريين بدراسة التربة وباجراء مسح جوي تمهيداً للبدء في برنامج خاص بالبحث عن المياه الجوفية خلال العام الحالي ١٩٧٨ ، ويتوقع رئيس الفريق نجاح البرنامج إذ يقول : «يكون الماء في بعض الحالات قريباً وعلى عمق أمتار قليلة في موسم الجفاف ، غير أن عمقه في معظم أنحاء المنطقة يتراوح بين ١٥ و ٤٠ متراً» . وهذا العمق يوازي عمق الآبار التي حفرها الحميريون في القرن السـادس الميلادي وتركوها خلفهم .

وَذكَر رئيس فريق الخبراء أن عينات من التربة قد أرسلت الى انجلترا لفحصها وتحديد مدى صلاحيتها للزراعة وملاءمتها لأنواع من النباتات . كما أن الفريق يعكف على دراسة الصور التي التقطت للمنطقة من الجو للتعرف الى طبيعتها . كما أنهم يعتزمون حفر بئر واحدة لكل عشر مزارع ، وانشاء صندوق تعاوني يشارك فيه الناس على اختلاف قدراتهم ليكون المشروع مستقلا بذاتـه .

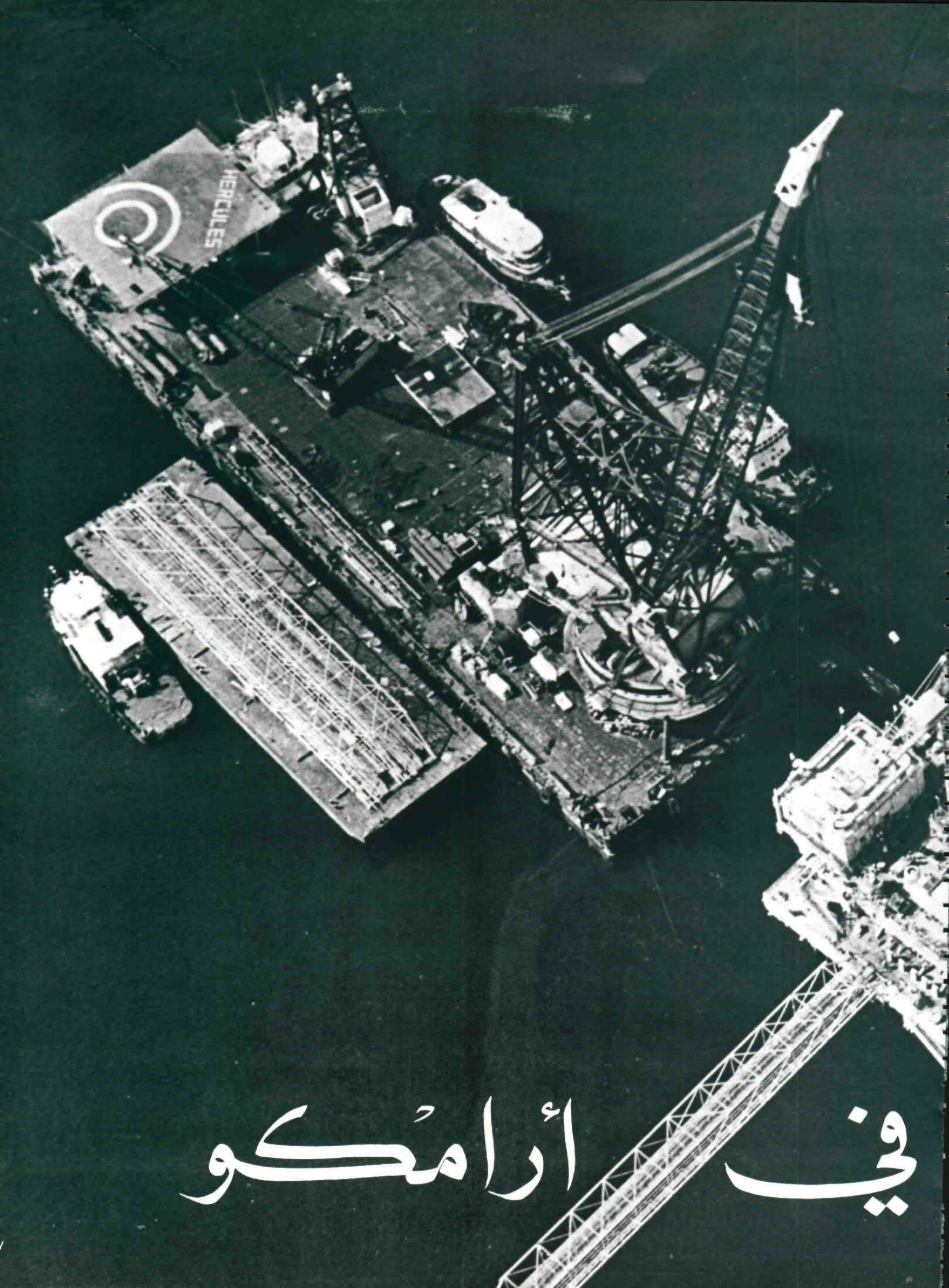
وما من شك في أن المزارعين في منطقة مأرب لديهم الخبرة الزراعيـة الجيدة ، التي كانت لدى أسلافهم . فهم بالمـاء القليل المتوفر لديهم يستطيعون اقامة زراعة ناجحة ، باستخدام أساليب ري نموذجية ، تستهلك أقل قدر ممكن من الماء . وتكاد تكون خصوبة الأراضي المنبسطة حول السد ومجراه أمراً مؤكداً . فالنباتات التي تنمو هناك حالياً لها سيقان قوية وجذور عميقـة .

وعلى أية حال لا يتوقع أن يعاد بناء سد مأرب مرة أخرى حيث أن شهرته التاريخية الأثرية تفوق ما قد يوفره من أسباب النمو الزراعي . على أنه يؤمل أن تعود الزراعة الى سـابق عهدها من الأزدهار والنجاح عندما يكتمل المشروع الجديد ●

ابراهيم أحمد الشنطي — هيئة التحرير

معمل الظلوف لفرز الغاز من الزيت

أخبار الزيت المصورة



في أرامكو



قارب تدريب ينضم إلى قوارب أرامكو

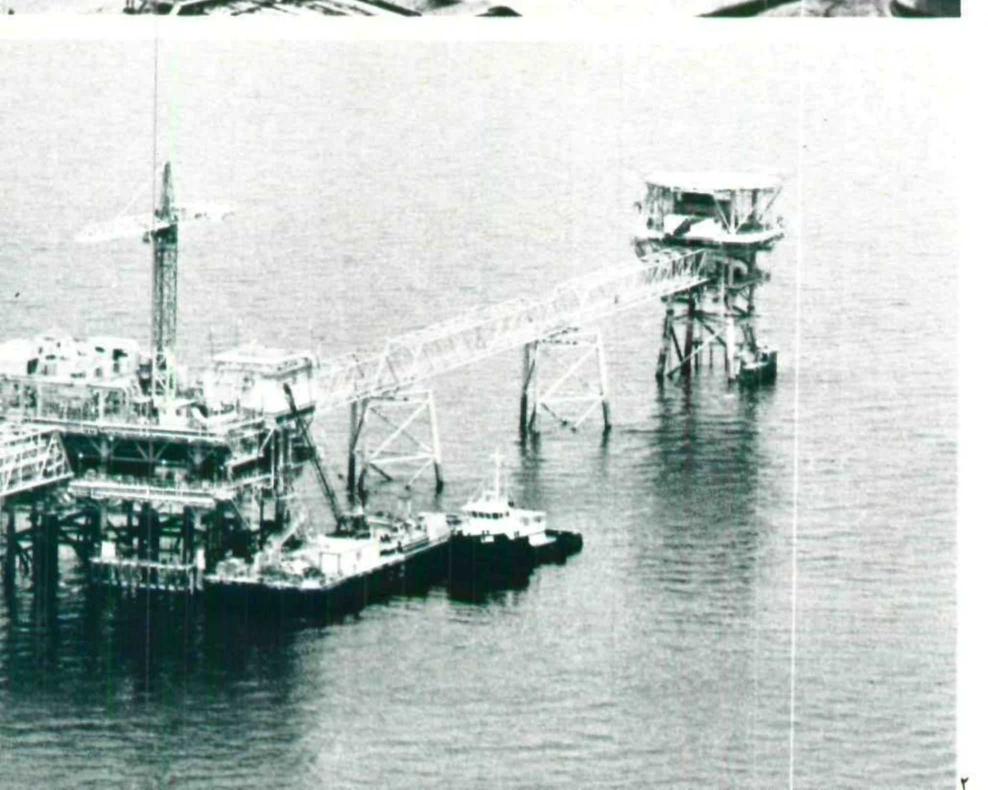
انضم الى مجموعة أرامكو قارب جديد يستخدم في تدريب الملاحين ونقل المواد الغذائية والتموينية لمرافق أرامكو البحرية وقواربها العاملة في عرض البحر . وهذا القارب الجديد مزود بالمعدات والمرافق اللازمة لتدريب ٢٠ ملاحاً دفعة واحدة ، ويعمل على ظهره ثمانية ملاحين أربعة منهم يقومون بالتدريب بالاضافة الى عملهم الاعتيادي في القارب. ويبلغ طوله نحو ٦٥ متراً ووزنه حوالي ٣٠٠ طن وهو مزود بمحركين قوة كل منهما ٢٠٠٠ حصان آلي ، وبأجهزة حديثة للملاحة ، وبمعدات اطفاء ووسائل جر تمكنه من سحب أبراج الحفر وغيرها من معدات الشركة البحرية .

تشغيل حوض جاف عائم برأس تنورة

قامت أرامكو مؤخراً بتجربة ناجحة في تشغيل حوض جاف عائم استأجرته من احدى الشركات المقاولة بالقرب من الفرضة الغربية برأس تنورة في مياه يبلغ عمقها حوالي عشرة أمتار . هذا وتبلغ مساحة منصة الحوض الجاف العائم الجديد حوالي ٧٨ × ٢٧ متراً مربعاً . وهذا الحوض الجديد مزود بعدد من الرافعات بالاضافة الى معدات الصيانة اللازمة ، لكنه يختلف في الحجم عن الأحواض الجافة الثابتة لأنه أصغر حجماً ، كما أنه يختلف في طرق العمل .

ففي حالة الأحواض الجافة الأخرى ، يدخل القارب الذي يحتاج الى صيانة أو اصلاح الى ممر خاص ، وتغلق البوابة من خلفه ، ثم تضخ المياه من الممر الى الخارج . أما بالنسبة للحوض الجاف العائم فان القارب حينما يكون جاهزاً للدخول الى

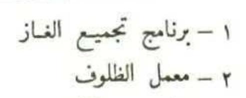
١



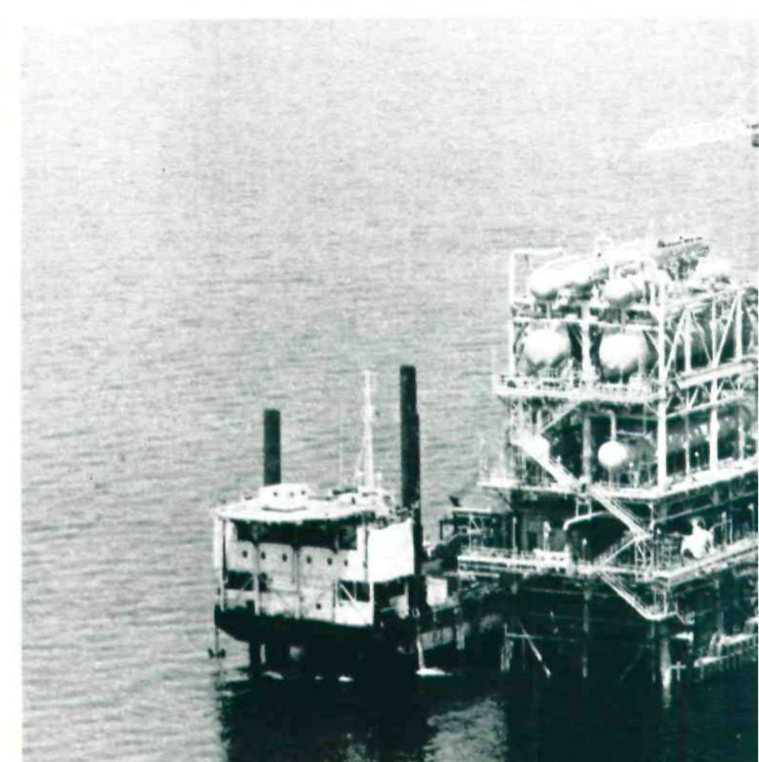
٢







١ – برنامج تجميع الغاز
٢ – معمل الظلوف
٣ – مخازن من الألومنيوم مقاومة للتآكل



الحوض يجري اغراق الحوض الجاف عن طريق تعبئة خزانات التوازن في الحوض بكمية من المياه تكفي لتغطيس هيكل الحوض الجاف الى عمق يزيد على غاطس القارب . وحينما يدخل القارب منطقة الحوض الجاف ويتم تثبيته ، يجرى تفريغ المياه من الخزانات ، وعندها يرتفع الحوض الجاف مرة أخرى الى مستوى سطح البحر وفي وسطه القارب مرتكزاً على ألواح معينة في وسط منصة الحوض . وتستغرق العملية بأكملها خمس ساعات ، ساعتان منها لتغطيس الحوض العائم وساعة لتثبيت القارب في منتصف منصة الحوض العائم وساعتان أخريان لاعادة تعويم الحوض الجاف العائم . ويستطيع هذا الحوض الجديد استقبال واصلاح القوارب التي يبلغ وزن الواحد منها ٢٠٠ طن وغاطسها أربعة أمتار .

انجاز المرحلة الاولى من برنامج تجميع الغاز عام ١٩٨٠م

يجرى حالياً تنفيذ برنامج تجميع الغاز الذي تضطلع به أرامكو ، ومن المتوقع أن يتم انجاز المرحلة الأولى من هذا المشروع الضخم في مطلع عام ١٩٨٠ .

وكجزء من برنامج حكومة المملكة العربية السعودية لتجميع الغاز فان أرامكو تضطلع بانشاء مراكز اضافية لمعالجته في شدقم والعثمانية . وينحصر العمل الرئيسي لمراكز المعالجة في استخلاص سوائل الغاز الطبيعي من الغاز المر . وأول مرحلة في هذه العملية هي نقل الغاز من ٢٩ معملا لفرز الغاز من الزيت تابعة لأرامكو الى أحد مراكز معالجة الغاز حيث تم تحلية الغاز ، وذلك بازالة الغاز المر الذي يرسل فيما بعد الى معمل الكبريت لاستخلاص الكبريت منه .



منصة الحوض الجاف العائم برأس تنورة



الحوض الجاف العائم برأس تنورة

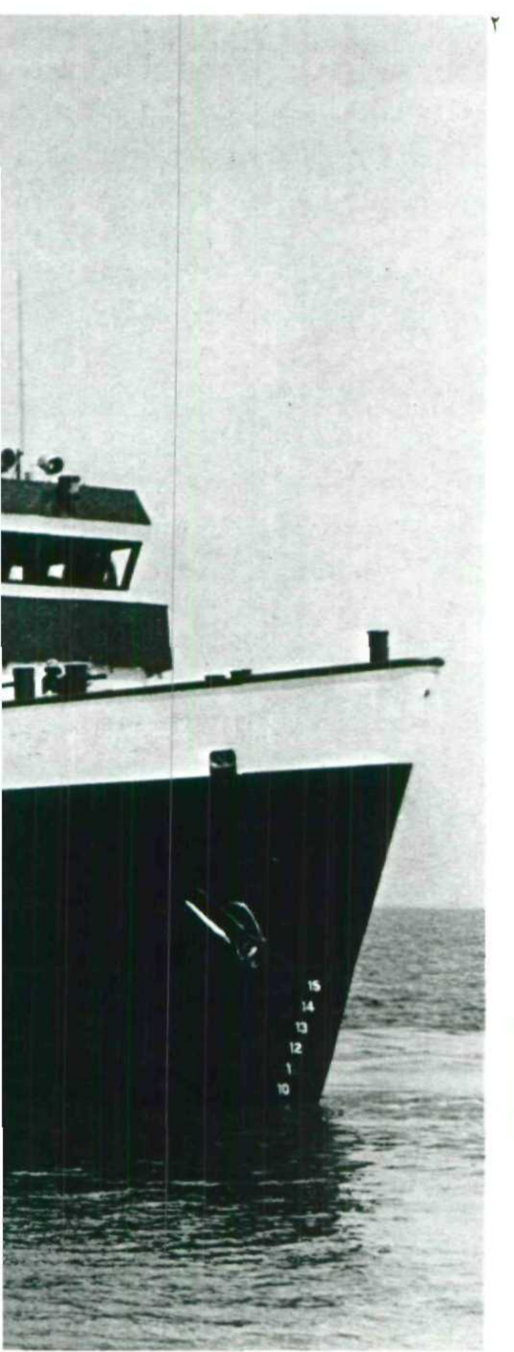
أما الغاز الحلو فيخضع للضغط والتجزئة الجزئية لانتاج الغاز الجاف والغاز السائل الرطب ويستعمل الغاز الحلو الجاف ، الميثان ، كوقود ولقيم في معامل أرامكو والمناطق الصناعية في الدمام والجبيل . أما الغاز السائل الذي يحتوي على سوائل الغاز الطبيعي فينتقل من مركز المعالجة الى معامل التجزئة في الجعيمة أو الى ينبع على البحر الأحمر عبر خط للأنابيب سيبلغ طوله حوالي ١٢٥٠ كيلومتراً .

مخازن جديدة مقاومة للتآكل

تقوم أرامكو حالياً ببناء تسعة مخازن جديدة من الألومنيوم المقاوم للتآكل وقد شارفت عملية البناء على الانتهاء . وتقع هذه المخازن الجديدة في خمسة مواقع تابعة لأرامكو هي : البري ، والجعيمة ، وشدقم ، والعثمانية والمدرا في الظهران .

وتستخدم هذه المخازن الجديدة لتخزين المواد التي تحتاج الى البقاء بعيداً عن أشعة الشمس كالمحركات الكهربائية والمعدات الدقيقة والأشرطة الحساسة وغيرها من الأجهزة والمعدات اللازمة لانشاء مرافق جديدة للغاز وغيرها من المشاريع القائمة حالياً .

وتبلغ مساحة التخزين لكل منها ١١٥٢ متراً .





ومن مزايا هذا النوع من المخازن الخفيفة أنه مقاوم للتآكل وخفيف الوزن . وتستغرق عملية اقامة المخزن الواحد وتزويده بجميع المرافق اللازمة بالاضافة الى معدات مقاومة الحريق أسبوعاً أو أسبوعين على الأكثر .

تركيب عمود لازالة الكبريت برأس تنورة

تمت مؤخراً عملية رفع عمود لازالة الكبريت يبلغ وزنه ٢٢٠ ٠٠٠ رطل وتثبيته في المكان المعد له ، وقد استخدمت في هذه العملية رافعة ضخمة تبلغ طاقتها ٣٠٠ طن . ويعتبر هذا العمود جزءاً من وحدة ازالة الكبريت بالمعمل رقم – ٤٩٣ حيث يقع مهذب النفتا رقم – ٢ الذي يجري انشاؤه حالياً في معمل التكرير برأس تنورة . وسينتج المعمل الجديد مخزوناً من النفتا ذات الأوكتان العالي لاستخدامها في عملية مزج البنزين . وستكون مهمة هذا العمود الجديد ازالة الكبريت من النفتا المجهزة في عملية انتاج البنزين .

معمل الظلوف لفرز الغاز من الزيت

ان هذا المعمل هو أحد ثلاثة معامل تابعة لأرامكو يجري انشاؤها خلال عامين في المنطقة المغمورة . فالعمل يجرى حثيثاً في هذا المعمل إذ من المتوقع أن يتم انجازه وتشغيله قبل نهاية العام الحالي . ويقع هذا المعمل على بعد ٦٤ كيلومتراً من السفانية ، ويبلغ عمق الماء في ذلك الموقع نحو ١٠٠ قدم . وقد بوشر العمل في هذا المعمل في مطلع هذا العام ببناء منصة الانتاج القائمة على ثمانية أعمدة رئيسية تؤلف الركائز التي تقوم عليها . وقد جرى تثبيت تلك الركائز في قعر البحر على عمق ٦٠ قدماً ، كما تم تثبيت ركائز التدعيم الأخرى بالحفر لها في قعر البحر على عمق يقارب من ٢٦٠ قدماً .

هذا وتبلغ طاقة المعمل ٤٥٠ ٠٠٠ برميل في اليوم. ويبلغ الطول الاجمالي للمعمل ١٠٢٥ قدماً ، إذ يمتد من المنصة الرئيسية التي تبلغ ابعادها ١٥٠ × ٨٣ قدماً الى المنصة المساندة الصغيرة التي تحتوي على ثلاث وحدات ضخ تعمل بطوربينات غاز ، ومولد للكهرباء ، ومنصة مرافق السكن ●

١ – ملاحو القارب
٢ – قارب تدريب ينضم إلى قوارب أرامكو
٣ – مخازن مقاومة للتآكل


٣

كتب



حظيت مكتبة القافلة بطائفة من المؤلفات التربوية والأدبية والثقافية التالية :

* **العدد الثالث من مجلة «البحوث الاسلامية» التي تصدرها وتشرف عليها رئاسة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض مرة كل ثلاثة أشهر . وقد أسهم في تحرير هذا العدد نخبة من العلماء والمفكرين حيث جاء حافلا بالبحوث والدراسات الدينية والأدبية الراقية اضافة الى بحوث علمية كالبحث في «تعيين مواقيت الصلاة في أي زمان أو مكان على سطح الأرض» للدكتور حسين كمال – الذي يقول فيه : «ان الأوقات المذكورة في التقاويم تخص قليلا جداً من البلدان الرئيسية بينما الغالبية العظمى من المدن والقرى يحتاج تعيين وقت الصلاة بها الى تعديل المواقيت المذكورة في التقاويم بما يتناسب مع خطوط الطول وخطوط العرض وهذا مما لا يتيسر إلا للمختصين في دراسة علم الفلك ... لذلك رأيت عمل هذا البحث خدمة للأمة الاسلامية وللمسلمين المقيمين في بلدان غير اسلامية حتى يتيسر لهم معرفة وتعيين مواقيت الصلاة بطرق سهلة ومضبوطة» . وتتسم هذه البحوث جميعها بالدقة والتحليل الموضوعي مما يسهم في خدمة التراث الاسلامي والحفاظ عليه ونشر الوعي الاسلامي وتعاليمه الحنيفة .**

• «بناء الكعبة على قواعد ابراهيم – فريضة اسلامية وواجب ديني مقدس» للأستاذ العلامة أحمد عبد الغفور عطار – وهو كتاب يحمل دعوة مؤمنة الى اعادة بناء الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام . تنفيذاً للارادة النبوية وتحقيقاً لأمنية الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الذي ذكرت ارادته وأمنيته في أحاديث بالصحيحين والأمهات والمسانيد ، ذكرها المؤلف وأشار الى محاولات اعادة البناء على قواعد ابراهيم كمحاولة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه . والكتاب يقع في ١٣٢ صفحة وطبع في مطبعة الاحسان بدمشق .

• «فلسفة السلام» لمعالي الشيخ هشام ناظر . والكتاب تتصدره دراسة عن الانسان ثم الانسان وقدماء الأغريق بالاضافة الى مجموعة محاضرات كان قد ألقاها معاليه الى جانب مقالات متنوعة نشرت في الصحف المحلية والعربية . وقد صدر الكتاب عن نادي الطائف الأدبي ، وطبع بدار الاصفهاني وشركاه بجدة .

• «التربية المتجددة وأركانها» للدكتور حنا غالب وهو كما قال مؤلفه : «محاولة جدية لتعريف التربية وتحديد الأسس التي يجب أن تبنى عليها أنظمتها ، ومناهجها ، وممارساتها» . ويقع الكتاب في ٤٩٢ صفحة . طبعت في مطبعة عيتاني الجديدة ، بيروت . وقد صدر الكتاب ضمن سلسلة التربية المتجددة .

• «مشكلات طلبة المرحلة الاعدادية وحاجاتهم الارشادية» للأستاذ ابراهيم عبد الله العمار ، وهو دراسة ميدانية تم تقديمها كرسالة ماجستير لبحث مشكلات الطلبة في هذه المرحلة وأسبابها وتقديم الحلول المناسبة لها . ويقع الكتاب في ٢٨٠ صفحة طبعته جمعية عمال المطابع التعاونية – عمان .

• «البحث العلمي – مناهجه ، وتقنياته» للدكتور محمد زيان عمر . وفي هذا الكتاب ابراز لاسهام الفكر الاسلامي في تطور العلم . الأسلوب العلمي في البحث . المناهج الرئيسية للبحث العلمي . معالجة تقنيات

البحث . استخدام العقل الألكتروني في البحث العلمي وطريقة اعـداد الرسائل العلمية . ويقع الكتاب في ٥٣٦ صفحة ، وتم طبعه في مطبعة خالد حسن الطرابيشي .

• «المدرسة الناصرية ـ ٥٠ عاماً» من اعداد العاملين بالمدرسة حالياً ، ونشر مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوي بوزارة المعارف ـ في الكتاب ذكر للمراحل التي مرت بها المدرسة منذ انشائها عام ١٣٤٤هـ مع بيان بأسماء الخريجين منذ عام ١٣٤٨هـ الى عام ١٣٩٤هـ والكتاب مزود برسوم بيانية وصور من سجلات المدرسة ونشاطاتها . الجدير بالذكر أن المدرسة تقع في المدينة المنورة وهي من أقدم مدارس المملكة . وقد تم طبع الكتاب في مطابع واعلانات الشريف ، الرياض .

• «دراسة في عصر الخلفاء الراشدين» للدكتورة فتحية عبد الفتاح النبراوي. وهو دراسة ممثلة لوجهة نظر اسلامية في الخلافة والفتوح والنظام الاداري في عهد الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ـ لتقف هذه الدراسة أمام ما كتب في الغرب عن الخلافة الاسلامية ـ يقع الكتاب في ٣٨٨ صفحة . تولت نشره الادارة العامة لكليات البنات بالمملكة . وطبع في مطابع الرياض .

• «الرضي الاستراباذي عالم النحو واللغة» للدكتورة أميرة علي توفيق . وهو دراسة لآراء الرضي تكشف عن مدى اتفاقها أو اختلافها مع آراء النحاة الذين سبقوه ومعرفة مدى ما اعتنى بـه من جديد وهل كانت آراؤه وتفلسفه في النحو تتسق في خيوطها الرئيسية مع شخصيته وتفكيره وآرائه الأخرى . وطبع الكتاب في مطابع الشرق الأوسط بالرياض ويقع في ٤٧١ صفحة وتولت نشره الادارة العامة لكليات البنات بالمملكة .

• «جغرافية المناخ والنبات» للدكتور يوسف عبد المجيد فايد . والمؤلف ينحو في هذه الدراسة والدراسات الجغرافية التي يقوم بها أو قام بها التأكيد على ناحية التوزيعات متخذاً قارات العـالم كوحدات لذلك التوزيع لأن الجغرافيا حسب كثير من التعريفات هي علم التوزيع ولأن القارة وحـدة جغرافية لا تحتاج الى تحديد مصطنع . ويقع الكتاب في ٣٦٨ صفحة وطبع في دار النهضة العربية ، بيروت .

• «أسس الجغرافيا المناخية والنباتية» الدكتور علي البنا . من محتويات الكتاب مدخل الى علم المناخ ـ عناصر المناخ ـ العوامل التي تتحكم في المناخ ـ التصنيف المناخي والأقاليم المناخية ـ العوامل التي تتحكم في الغطاء النباتي ـ الأقاليم النباتية . ويقع الكتاب في ٤٠٥ صفحات . وطبع في دار النهضة العربية ، بيروت .

• «جوانب من مشكلة الغذاء في العالم والوطن العربي» للأستاذ محمد أحمد الرويثي . وتحتوي هذه الدراسة على مقدمة وخمسة مباحث . عالجت المقدمة الدوافع وراء هذه الدراسة . أما المباحث الخمسة فقد تناولت المشكلة من جميع جوانبها فتعرضت للجذور التاريخية والصورة الحالية لمشكلة الغذاء في العالم والوطن العربي من خلال العلاقة بين السكان والانتاج الغذائي ومن حيث النمو السكاني والضغط على الأرض والاتجاهات السكانية في المناطق الزراعية العربية والتغير في حجم قوة العمل . يقع الكتاب في ١٢٠ صفحة ، وطبع في مطبعة الجبلاوي . القاهرة .

• «روضة الأسرار» للشاعر المسلم محمد اقبال . درسه دراسة مقارنة وقدم له وشرحه وترجمه عن الفارسية الدكتور حسين مجيب المصري . ويقع الكتاب في حوالي ٢٠٠ صفحة ، ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية .

• العدد الرابع عشر من مجلة «التوثيق التربوي» التي تصدر عن مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوي وقد اشتملت المجلة على عدد من المواضيع التربوية المختلفة التي تعالج شئون التربية والتعليم مستهدفة من ذلك وضع كل جديد في أيدي الباحثين والأساتذة والطلاب ووقوفهم على النهضة التعليمية الشاملة التي تعيشها المملكة .

• من مؤسسة قنديل التجارية أصدر الأستاذ أحمد قنديل الشاعر المعروف ديواني شعر هما «اللوحات» ، «أوراقي الصفراء» من الشعر العمودي كما أصدر دراسة مبسطة عن «جدة عروس البحر» ضمنها بعض أشعاره التي تشبه ما نظمها مؤخراً تحت عنوان «قناديل» .

• «حقيبة الذكريات» ديوان شعري للشاعر طاهر زمخشري ، وقد جاء مؤكداً على أن شاعرنا صاحب قاموس شعري خاص . ويقع الديوان في ٢٠٤ صفحات وقد طبع بمصنع الكتاب . الشركة التونسية للتوزيع .

• «على دروب الشمس» للشاعر محمد هاشم رشيد ، و «غناء الجرح» ، للشاعر محمد العيد الخطراوي ، وهما مجموعتان شعريتان صدرتا عن النادي الأدبي بالمدينة المنورة . وهاتان المجموعتان تتضمنان شذرات شعرية تمزج بين العاطفة والخيال والحنين .

• «سكان المملكة العربية السعودية» دراسة جغرافية ديموغرافية للأسـتـاذ محمد أحمد الرويثي ، يتكون هذا البحث من خمسة مباحث ، تدور الأربعة الأولى منها حول نمو السكان وتوزيعهم وكثافتهم وخصائصهم ، أما البحث الخامس فيبحث في العلاقة بين السكان والغذاء لما بينهما من ارتباط قوي ، طبع في مطبعة الجبلاوي ، القاهرة .

• «فهرس العربي للعمري» لمؤلفه عبد العزيز العمري . ويحتوي هذا الفهرس على سجل كامل للمواضيع التي نشرت في مجلة العربي الصادرة في الكويت من العدد الأول الى العدد ٢٠٦ مع ملحق من العدد ٢٠٧ـ٢١٧ ، هذا الفهرس يمكّن الباحث من العثور على ما يريده مما نشر في هذه المجلة . وقد اعتمد في فهرسته على الترتيب الأبجدي . ونشرته دار العلوم بالكويت .

• «حمزة شحاتة قمة عرفت ولم تكتشف» للأستاذ عزيز ضياء . والكتاب كما قال عنه الأستاذ عبد العزيز الرفاعي «يمثل قمتين احداهما تتحدث عن الأخرى . قد لا أغلو اذا قلت أن الأستاذ عزيز ضياء يبلغ حقاً الذروة في النثر السائغ السلس القوي الآسر ... تماماً كما يبلغها حقاً الأستاذ شحاتة في الشعر المتدفق حيوية وحركة ونصاعة وعبقرية . ان هذا الكتاب محاولة أولى لاكتشاف القمتين معاً ...» ، صدر الكتاب عن المكتبة الصغيرة لصاحبها عبد العزيز الرفاعي وطبع بمطابع اليمامة بالرياض . كما صدر عن المكتبة أيضاً كتاب «خولة بنت الأزور البطلة الأسطورة» لصاحب المكتبة الأستاذ عبد العزيز الرفاعي «هل كانت خولة بطلة حقاً ؟ بل هل كان هناك في تاريخنا امرأة تدعى «خولة بنت الأزور» سواء أكانت بطلة أو لم تكن ؟ أم هل كانت «خولة» أسطورة سواء في شخصيتها أو في بطولتها» . ذلك ما حاول أن يعالجه الكاتب وقد طبع الكتاب في مطابع الزايدي .

كما صدر ضمن السلسلة نفسها مجموعتان احداهما شعرية للأسـتـاذ أحمـد قنديل ، قصيدة واحدة بعنوان «قاطع الطريق» من الشعر العمودي ومجموعة قصصية أخرى للأستاذ غالب حمزة أبو الفرج بعنوان «ذكريات لا تنسى» مع مجموعة قصص أخرى ، كما صدر ضمن السلسلة ديوان «غناء وشجن» للشاعر محمد سراج خراز .

• «رعشة الرماد» ديوان من الشعر الحديث للشاعر محمد أحمد حساني . وقد ضـم مجموعة من القصائد ذات الأبعاد الانسانية والوطنية . وقد صدر عن مطبوعات نادي مكة المكرمة الثقافي ، وهو يقع في ١١٠ صفحات من الحجم الصغير ، وطبع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ●

الشاعر بين افلاطون وارسطو

بقلم: الاستاذ عزت محمد ابراهيم

نظر كل من أفلاطون وآرسطو الى الشعر نظرتين مختلفتين على غير المنتظر من كل منهما ، فأفلاطون قد نظم الشعر ، وقد امتاز أسلوبه بمسحة أدبية ظاهرة ، وكان خليقاً بذلك أن يكون رأيه في الشعر غير ما كان عليه من الكراهية والازدراء .

وكان آرسطو ذا نظرة علمية فاحصة ، لا يهتم بزخرف القول ، ويعني أكثر ما يعنى بعلم الحياة ، فينظر الى الأشياء نظرة العالم الفاحص ، لا يلتفت كثيراً الى ظواهرها وانما يغوص الى أعماقها ، يسبر غورها ، ومع ذلك فهو يدافع عن الشعر ، وتناقض آراؤه فيه آراء أستاذه أفلاطون ، ولم يخرج بحثه في موضوع الشعر عن بحث العالم الذي ينظر الى الأشياء نظرته الى الكائن العضوي ، يحلل أجزاءه ، ويدرس خصائصه ، ويراقب سلوكه .

واذا كانت هذه هي نظرة أرسطو للشعر ، فقد كان مدار بحث أفلاطون فيه هو التربية ، وأن الشعر خليق أن يكون وسيلة من وسائلها ، وأداة من أدواتها ، وليس بهدف فني في حد ذاته ، نستخلص ذلك من قوله :

«ينبغي أن نراقب الشعراء ، ونحملهم على أن يبرزوا في انتاجهم صورة الخلُق الخير ، وإلا عاقبناهم بالحرمان من التأليف ، وأن يمتد الاشراف الى أساتذة جميع الحرف الأخرى» .

ولا نجد ثمة فرقاً عنده بين الشعر وبين سائر الحرف في اتخاذها وسيلة تربية وأداة تهذيب وابراز لصور الخلُق الخيّر .

ويبدأ آرسطو حديثه عن الشعر في كتابه المسمى بهذا الاسم والذي يطلق عليه اسم «بويطيقا» على نحو ما عرفنا من منهجه في البحث ، منهج العالم الفاحص بقوله :

«سأتكلم هنا عن فن الشعر ، وعن أنواعه المختلفة ، وسأبحث في وظائف كل نوع ، وفي البناء الصحيح للمنظومة ، وعدد أجزائها ، وخصائص كل منها» .

وأريد هنا أن أقف وقفة قصيرة حيال اختلاف آراء آرسطو عن آرا[ء] أستاذه أفلاطون لأقول انه ليس معنى تتلمذ التلميذ على أستاذ هو الانضوا[ء] تحت سطوة آرائه ، أو الوقوع تحت سيطرته العقلية ، فآرسطو هنا يضرب لن[ا] المثل الجدير بالتأمل ، وهو أن الانتماء الى مدرسة فكرية ليس معناه ترديد أقوالها بغير نظر أو بصيرة ، وأن الاستقلال العقلي مطلوب ونافع ، سواء انتمى صاحب الفكر الى مدرسة فكرية ، أو لم ينتم ، فما وافق عقولنا قبلناه وما خالفها أبينا الرضوخ له ، ولا ضير علينا بعد ذلك . وكتاب آرسط[و] في الشعر عبارة عن مذكرات كتبها هو أو كتبها عنه تلاميذه أراد أ[ن] يستعين بها على محاضراته لهم ، ولم يقصد بها أن تكون كتاباً تام الأجزاء مترابط الفصول .

وبالرغم من أن آرسطو لم يعرض لغير الشعر اليوناني ، ولم يستمد أحكامه من سواه إلا أن آراءه فيه – لا شك – لها صفة العموم والشمو[ل] الذي أتاح لكتابه أن يصبح مرجعاً للدراسات الأكاديمية كل هذه القرو[ن]

الطوال ، والذي ظل صاحبه ذا سطوة كبرى على الدراسات الأدبية زمناً طويلا .

ويرى آرسطو أن الشعر ينقسم الى قسمين : حماس وهجائي ، ومن الحماس أو الملاحم تكون المأساة ، ومن الهجائي تنشأ المهزلة ، وهو عنده ضرب من التقليد ، وهو لا يخرج في ذلك عن الرأي السائد في نظرة اليونانيين الى الفنون الجميلة بعامة ، وفيما عدا ذلك من آراء آرسطو في الشعر نعرفه من خلال مناقشاته لأفلاطون .

أما أفلاطون فيرى أن الشعر ضرب من التقليد السخيف ، وهو يستمد رأيه فيه من نظريته المعروفة «المثل أو الأفكار» .

ويمضي في توضيح رأيه في الشعر فيشرح كيف يستثير بطل المأساة نفوسنا بما يثير فينا من مشاعر الحزن والخوف والقلق ، وأن نجاح البطل يقاس بمقدار نجاحه فيما يثيره في نفوسنا من هذه الأشجان ، وهو على هذا التقدير غير خليق باعجابنا ، لأنه مدعاة تجعلنا أن نسرف في ندب حظوظنا ، وأن نسرف في عرض أحزاننا على الناس ، ولأننا ينبغي أن نعجب بالرجل الذي يجابه المصائب ويصبر على كوارث الحياة بقلب ثابت ، وجنان قوي ، ولأن بطل المأساة آخر الأمر خليق أن يضعف من مقاومتنا لمشكلات الحياة ، ويقلل من مقدرتنا على ضبط مشاعرنا إزاء ما يقابل النفس من عوامل إثارة الأفراح والأتراح .

ويحاول آرسطو الابتعاد عن نظرية أستاذه والدفاع عن الشعر بمنأى عنها فيلجأ الى أدوات العالم في هذا الدفاع ، بدلا من أن يلجأ الى تجريد المفكر أو مثالية المثالي التي غرق فيها أفلاطون ، ويرد عليه بنظرية التطهير — Katharsis التي لم يشرحها أو يوضحها في كتابه الشعر ، ربما لأن النظرية — كما قيل — كانت من الوضوح له ولتلاميذه بحيث لا يحتاج إلا لمجرد الذكر والاشارة اليها في محاضراته لهم .

وقد قام بشرح تلك النظرية «لا سل أبر كرمبي» في كتابه «قواعد النقد الأدبي» ، معتمداً على التخمين والاستنباط — بطبيعة الحال — ما دام صاحبها نفسه لم يشرحها أو يفسرها . وقد ذكر «كرمبي» أن الشاعر «ملتن» كان أول كاتب انجليزي عرض لشرح هذه النظرية في مقدمة منظومته «شمشون الجبار» بقوله :

«ان المأساة هي أكثر أنواع الشعر نفعاً».

ويضيف «كرمبي» أن «ملتن» يستدل على هذا الرأي بكلام آرسطو ، وينقل لنا في كتابه فقرة من كلام «ملتن» يقول فيها :

«ولهذا قال آرسطو عنها — يعني المأساة — بأنها حين تثير فينا شعور الرأفة أو الخوف أو الرعب فانها تطهر الروح من هذه العواطف أي تعدل منها وتنقصها الى القدر اللازم ، مع ارتياح النفس عند مطالعة أو مشاهدة هذه العواطف مقلدة تقليداً متقناً» .

ولا تخلو بعض جوانب الحياة من أمثلة تثبت صحة ما ذهب اليه ، ففي الطب تستخدم الأشياء ذات الصفة اللمفاوية لمعالجة الأمراض اللمفاوية ، ويستخدم الحامض ضد الحموضة ، والمالح لاستبعاد الملوحة» .

هذا ما يقوله «ملتن» ويعلق عليه نقلا عن آرسطو ، ومعنى ذلك أن آرسطو قد شرح نظريته وخلافاً لما يقوله «كرمبي» من أن آرسطو «لم يهتم بتعريفها وايضاحها ، ولا بد لنا من أن نصنع كما صنعنا في نظرية التقليد ، بل الحاجة هنا أشد بأن نستنبط المعنى الذي يرمي اليه من طريقة استخدامه لذلك اللفظ» . وعلى ذلك فسأعتبر كلام «كرمبي» عن نظرية التطهير زيادة في ايضاح نظرية آرسطو وليست شرحاً لها ، وهو يقول أن آرسطو قد استخدم هذا اللفظ على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة ، ثم قدر بعد ذلك الاحتمالات التي يمكن أن يكون آرسطو قد قصد اليها من استعماله ، فتحدث عن التطهير الديني ، وكان أمره معروفاً عند اليونان الأقدمين ، وتحدث عن التطهير الطبي الذي أشار آرسطو اليه ، وهو نوع من العلاج عرف قديماً كما عرف حديثاً ، والطب الحديث يستخرج اليوم من ذات الميكروبات التي تصيب الانسان ترياقاً للعلاج والوقاية ، يحقن بها الجسم فتقيه من شر الاصابة بها .

ومثل هذا ما كان يرمي اليه آرسطو من أن المأساة التي تثير في النفس شعور الجبن أو الخوف خليقة بأن تطهرها من الزائد عن حاجتها . وهذا حق ومشاهد ، ولكن ليست كل أنواع المأساة ينبغي أن تكون على هذه الشاكلة من إثارة مثل هذه الضروب من المشاعر ، فهناك فنون أخرى حرية بالتقديم كمشاعر النخوة والشجاعة والوفاء ، وكلها مطلوبة لصلاح النفس الانسانية ، ومطلوب غرس بذرتها في النفوس ، والمساعدة على تهيئة الجو لا يناعها وازدهارها .

وفي وسع المأساة أن تقوم بمثل هذا ولا ضير عليها في أن تقدم الى جانبها ضروب الجبن والخنوع ، مشيدة بالأولى ، فيسعى الناس اليها ، محقرة الثانية فيزور الناس عنها ، فلا يقتصر دورها فقط على مجرد التطهير واستبعاد زائد العواطف من النفس الانسانية .

وليس بصحيح أن الانسان يضيق بإثارة مشاعر الحزن ودواعي البكاء فيه ، فلعله أن يسعى الى ذلك سعياً ، يكون فيه بعض تنفيس عن مشاعر مكبوتة لو لم تجد لها منصرفاً لربما قتلت صاحبها قتلا ، وأوردته موارد الهلاك . وفي قول آرسطو في ذلك الكثير من الصواب ، ويعرف ذلك اليوم علم النفس ، كما عرفه قبل اليوم الانسان الفطري ، قبل أن يهتدي اليه علم النفس الحديث ، واذا كانت عاطفة الحزن أظهر في النساء منها في الرجال ، فما أكثر ما عرفنا في المرأة الحزينة سعيها الى مجالس الحزن والبكاء ، لغير غرض إلا التنفيس عما بها من كمد وهم ، وقال الناس في ذلك الحكم وضربوا الأمثال ، وصورت الخنساء هذا المعنى في قولها :

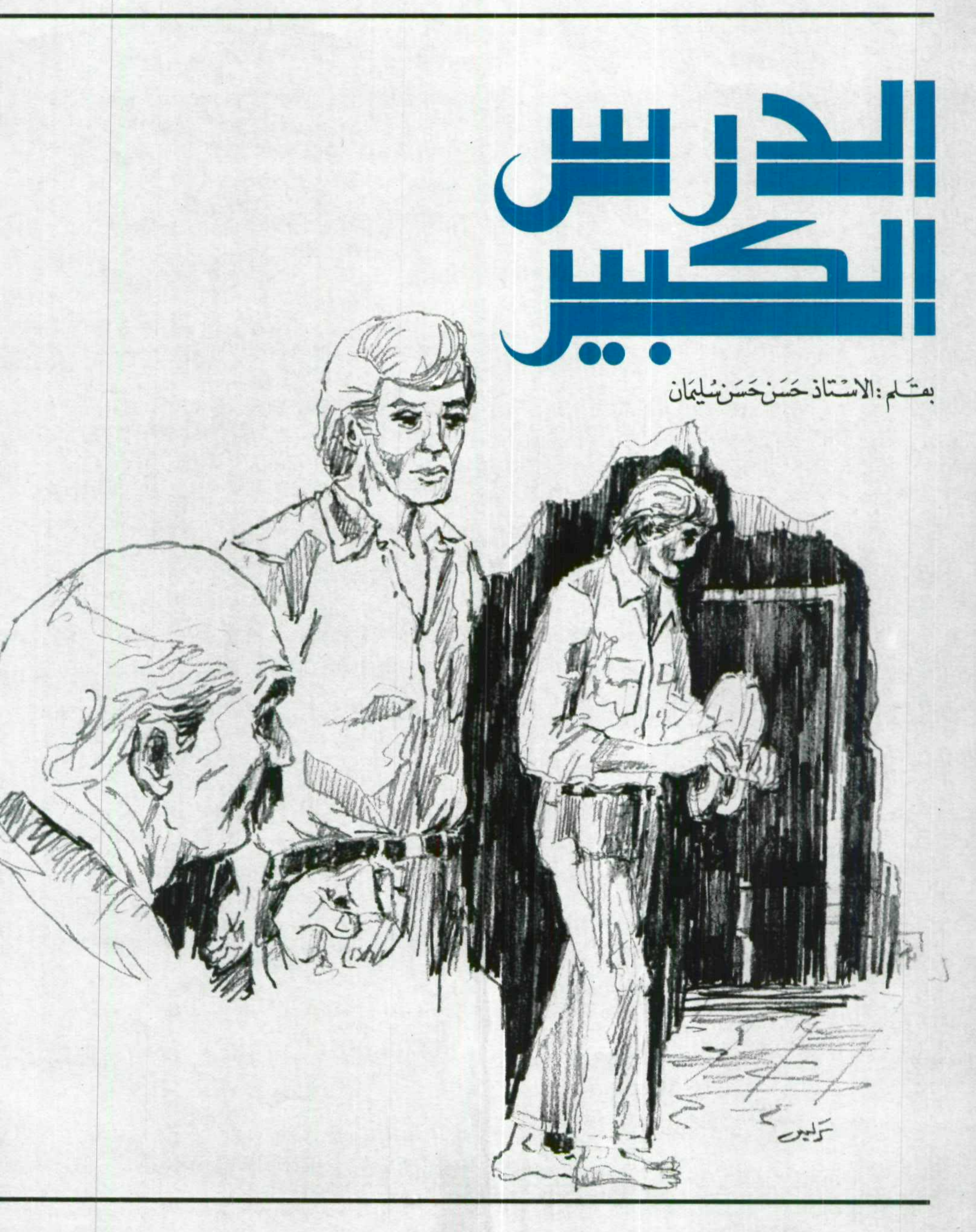
فلولا كثرة الباكين حولي … على اخوانهم لقتلت نفسي

وقريب من قولها قول الآخر :

وقال أتبكي كل قبر رأيته … لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا … فدعني فهذا كله قبر مالك

الدرس الكبير

بقلم: الاستاذ حسن حسن سليمان



الساعة دقت معلنة منتصف الليل ، وهو لم يزل يذرع الطريق أمام البيت جيئة وذهاباً ، يقترب منه ثم لا يلبث أن يتراجع .. الطريق خلت من المارة تماماً .. جميع المحال التجارية أغلقت أبوابها .. كل آوى الى بيته ، إلا هو ، ما يزال يهيم على وجهه لا يجرؤ على الدخول .

طال تردده بين اقدام واحجام . وبعد أن تأكد من أن جميع من في البيت قد ناموا ، اقترب من الباب وفتحه بخفة وحذر ، وتسلل منه الى الداخل ، وهو يمشي على أطراف أصابعه خشية أن تراه العيون أو تسمع وقع أقدامه الآذان . ومشى باتجاه غرفته يريد أن يتوارى فيها حتى الصباح ، وبعدها يفعل الله ما يشاء . تلفت حوله ليطمئن الى أن أحداً في البيت لم يره أو يحس بوجوده . وهاله أن يرى غرفة أبيه ما تزال مضاءة ، وهذا يعني أنه لم ينم بعد ، وأنه ما يزال بانتظاره وليس أمامه مفر من أن يذهب اليه ، وهو ان لم يفعل ذلك فسوف يستبطىء عودته فيسأل عنه ويستدعيه اليه . فليذهب اليه اذن ! وليكن الله في عونه على مواجهة هذا الموقف الصعب .

وتقدم الى غرفة أبيه بخطى وجلة ، يقدّم رجلا ويؤخر أخرى . ولم يكد يقترب من الباب حتى سمعه يناديه بصوت يغلبه الضعف ، صالح ! صالح ! أين أنت يا صالح ! ؟ هل عدت ؟ تعال الى هنا ! فأجابه وهو يدخل الغرفة منكسر الخاطر مطأطىء الرأس : أنا هنا يا أبي ! لم أعد إلا الساعة ! فقال له أبوه : لقد تأخرت كثيراً ! لعل التوفيق قد حالفك ونجحت في مسعاك ! اقترب مني ! وحدثني بما فعلت ! فاقترب منه وجلس على حافة الفراش وقال متذللا : بماذا أحدثك يا أبي ! ؟ لم أفعل شيئاً ! ولم أجد مخرجاً ! كلما توسمت الخير في طريق وجدته مسدوداً ! لقد سدت دوني كل الطرق والمنافذ ! فقال له أبوه وقد استبد به اليأس والألم : وأصحابك ! ألم تجد أحداً منهم ! ؟ فقال : بلى ! وجدتهم كلهم ! ولكن لم أجد عند أحد منهم خيراً ! لقد تخلوا عني ولفظوني كالنواة ! فقال أبوه : كان يجب أن تعرف هـذا من قبل ، خدعوك واستغفلوك واستغلوا طيشك فاستنزفوا مالك ثم تركوك بعد أن لم يبق لهم فيك مطمع ، ونبذوك وأشاحوا بوجوههم اليوم عنك حيث لم يعد لهم عندك مأرب ! فقال صالح متألماً : يا أبي أنت مريض فلا تجهد نفسك ! فقال أبوه وهو ينتفض : لو كانت صحتي تهمك حقاً لما فعلت ما فعلت ! لقد أخربت بيتنا أنت ورفاق السوء أصحابك ، سلمتك كل أموالي وكنت أظنك رجلا تحسن التصرف وتقدر المسئولية فاعتمدت عليك لاستريح بعد أن نال من قواي التعب وأنهك صحتي المرض ، ولكن ظني خاب فيك ! فقاطعه صالح وهو يشفق عليه من شدة الانفعال وقال : هوّن عليك يا أبي ! ان ما تقوله كله صحيح ! ولكن ما الفائدة الآن ؟ ! الذي وقع قد وقع ! ولست الومك على ما تقول ، فأنا أستحق منك أكثر منه ! لقد أخطأت كثيراً في حقك وحق نفسي ! واني عازم بحول الله على تصحيح الخطأ والبدء من جديد حتى استرد ثقتك بي واستعيد ما ضيعته وأثبت لك أنني رجل كما كنت تحب وتتمنى دائماً ! فردّ أبوه بلهجة فيها من السخرية والمرارة : وماذا عسى أن تصنع وليس في يدك شيء من المال ؟ اني أشك في أن الذي لم يفلح في البداية سيفلح في النهاية ! فأجاب صالح : لقد تعلمت يا أبي درساً كبيراً كلفني غالياً ولن أنساه ! سأبدأ وسترى ! وأرجو أن أكون هذه المرة عند حسن ظنك بي فأعوضك عما خسرته ! فسامحني واصفح عني ، وأدع الله من أجلي ! ! ثم قبّل يده واستأذن لينام .

ولكنه لم ينم .. أمضى ليلته يحاسب نفسه حساباً عسيراً . حتى اذا أشرقت الشمس ارتدى ملابسه وانطلق بهمة ونشاط يطرق أبواب الشركات والمؤسسات بحثاً عن عمل . ومضى يوم وثان وثالث ، واسبوع ، ولم يوفق في العثور على عمل حتى كاد يستسلم الى اليأس والفشل .

وفي صباح يوم من الأيام توقف أمام مبنى احدى الشركات ، وفي يده جريدة يعاود مرة بعد أخرى قراءة اعلان فيها من الشركة عن حاجتها الى مستخدمين . وبعد طول تردد استجمع شجاعته وصمم على الدخول .. انه السهم الأخير الباقي في يـده ، فليرم بـه ، وبعدئذ يفعل الله ما يشاء ويختار .

وفي مكتب مدير الشركة ، وأمام شـاب وسيم ، وقف صالح وقدّم معروضه . نظر الشاب ملياً في المعروض ، وتوقف عند الاسـم قليلا ، ثم نظر الى صالح نظرة فاحصة كأنه يريد أن يتثبت من شخصيته ثم قال له : تفضل يا صالح ، استرح ثم انشغل عنه بعض الوقت ينجز بعض المعاملات ويرد على استفسارات المراجعين ثم التفت اليه وقال لـه : قل لي يا صالح ! ما هو العمل الذي تريده ؟ فقال صالح وهو يغالب ما يشعر به من الاحراج والخجل : أي عمل ! المهم أن أعمل ! فقال الشاب : أليس لديك مهنة معينة ؟ فأجاب : لا ! ليس لدي مهنة . فقال الشاب : لا بد أن لديك شهادة عالية اذن ! فقال بمزيد من مشاعر الاحراج والخجل : كلا ! ليس لدي أي شهادة فقال الشاب : وهل يوجد أحد اليوم ليس لديه مهنة أو شهادة ! ؟ فقال صالح بمرارة : نعم ! يوجد الكثيرون ! وأنا واحد منهم . فقال الشاب : حسناً لنعد الى موضوع العمل ، هـل تفضل عملا معيناً دون غيره ؟ فأجاب : ان الذي يهمني أن أجد عملا ، أي عمل ! فقال الشاب : ولكن مظهرك يبدى أنك من ذوي الغنى فقال صالح متألماً ! ان ما تقوله صحيح ! ولكن الذي لا يتعب في صغره لا بد أن يتعب ويشقى في كبره ! يرحمك الله يا أبا فالح ! ليتنـا سمعنا نصحك ! كنت والله لنا ناصحاً أميناً ! ولكنك لم تجد منا قلوباً واعية وآذاناً صاغية ! فقال الشاب متأثراً : وهل مات أبو فالح ! فقال صالح : نعم ! مات . ثم قال فجأة كأنه قد تذكر شيئاً : ولكن قل لي من فضلك ! لماذا تسأل عنه ! ؟ هل تعرفه ؟ فقال الشاب : كان لوالدي صديق بهذا الاسم ، لا أدري لعله يكون هو ! رحمه الله ثم استطرد قائلا : وما هي النصيحة التي تقبلونها منه ؟ فقال صالح : هذا يا أخي شيء مضى ، وذكره يؤلمني ويحز في نفسي فقال الشاب : ومع ذلك أريد أن أعرفه اذا لم يكن لديك مانع !

وتنهد صالح طويلا ، واعتدل في جلسته ، ثم قال بصوت تكاد تخنقه العبرات من شدة التأثر : كان هـذا منذ سنوات ، يوم كنت ما أزال طالباً في المدرسة ، كنت أذهب الى المدرسة بحكم العادة ، ولم أشعر يوماً أن هناك ما يربطني بها ، ولم أكن أحس أنني بحاجة للدراسة . لم يكن أحد في البيت يحاسبني على تقصير أو يؤاخذني على اهمال . ولم يكن أبي

يهتم بما ترسله اليه المدرسة حول سلوكي وسيري في دراستي . ولم يكن يرى أنني بحاجة الى أن أتعلم ما دامت تجارتنا ناجحة رابحة . كان يرى أن التعلم ليس سوى جهاد من أجل لقمة العيش ، وأن الله سبحانه وتعالى قد كفانا مؤونة ذلك بما يسره لنا من رزق وفير .. لم يكن ثمة ما يحفزني على الدراسة أو يجعلني أحس في يوم من الأيام بالانتماء الى المدرسة ، فكان الاهمال يقودني الى اهمال ، حتى أصبحت مثالا سيئاً بين أقراني وزملائي .
ولم أكن أعي حقيقة موقفي في سنوات دراستي الأولى ، ولكني وعيت ذلك في السنوات التالية من خلال نظرات كانت تلاحقني من المدرسين والطلبة على السواء . وكان ذلك يحفزني على التحدي ، ولم يكن هناك من وسيلة يمكن أن أرد بها عليهم سوى الاستهتار بالدروس والواجبات المدرسية المنزلية . وكان «سعيد» أحد زملائي في الصف وكان أكثر الجميع اغاظة لي.
كان والده سائقاً يعمل عند والدي ، وكان بذكائه واجتهاده وحسن سيرته قد استحوذ على احترام الجميع وتقديرهم ، وهذا شيء لم أستطع أن أحققه من خلال مركز والدي ومظاهر البذخ والترف التي كنت أتقلب فيها .
كان أمامي قلعة منيعة شامخة ، وكنت أرى نفسي أمامه كالقزم . كان المرآة التي تعكس لي صورتي على حقيقتها بلا رتوش ولا ظلال ولا اطار ، ولذلك صممت على الانتصار عليه وعلى الجميع فتركت المدرسة ، وطلبت من والدي أن يفصل أباه من الخدمة حتى أمحو كل أثر له في حياتي .

ابتسم الشاب ابتسامة ذات معنى ، ثم قال لصالح : أكمل ! أكمل ! ماذا حدث بعد ذلك فاستأنف صالح حديثه فقال : شد والدي على يدي ، وشجعني على ترك المدرسة . ولم يستمع الى نصح أبي «فالح» الذي أوضح له بكل صدق واخلاص خطورة ذلك وسوء عاقبته . وظن والدي أنني قد أصبحت جديراً بحمل أعباء المسئولية وأنه قد آن له أن يستريح بعد أن ساءت صحته وتعاقبت عليه الأمراض وألحقت عليه الأوجاع ، فسلمني المحل ، واعتزل العمل نهائياً .

واستطرد صالح قائلا : ووجدت نفسي حراً أفعل ما أريد ، دون أن يسألني أحد عن شيء فعلته ، لم فعلته ، أو يسألني عن شيء تركته ، لم تركته . والتف من حولي أصحاب السوء الذين أرضوا غروري وأشبعوا حاجتي الى الانفراد والتفوق على من حولي ، وخدعوني بتزلفهم ونفاقهم ، فانسقت اليهم في الطريق الذي أرادوه ، وانقدت الى رغباتهم فكنت أتصرف بوحي من أفكارهم وتوجيهاتهم . كنت أسافر معهم الى الخارج في رحلات أزعم لوالدي أنها رحلات عمل ، ولم يكن بينها وبين العمل أدنى صلة . وكنت لذلك أقدم له تقارير وكشوف حسابات زائفة حتى أوهمه أن العمل يسير بادارتي من حسن الى أحسن وأنه يحقق في كل يوم ربحاً جديداً ، حتى أغرقت المحل في الديون . وحين عجزت عن سداد تلك الديون أعلنت افلاسي . وفوجىء أبي بذلك ، ولم يتحمل الصدمة ، فانهارت أعصابه ، وزاده ذلك مرضاً على مرض ، فوقع طريح الفراش لا يقوى على الحركة . لقد شوهت سمعته واسمه بين تجار السوق ، وهدمت ما بناه خلال سنوات عمره بكده وعرقه وجده واجتهاده .

وصمت صالح قليلا يتجرع مرارة الندم والخيبة والفشل فسأله الشاب : وأبوك ! أين هو ؟ وكيف حاله ؟ فقال صالح : تركته في البيت وحالته خطرة جداً . ثم استطرد قائلا كأنه قد تذكر شيئاً فجأة : ولكن قل لي من فضلك ! لم تسأل عن أبي ؟ ! هل تعرفه ؟ فقال الشاب مبتسماً : نعم ! أعرفه وأعرفك أنت أيضاً ! فدهش صالح ولم يكد يصدق ما سمع فقال : أتعرفني أنا ؟ ! من أين تعرفني ؟ ! فأنا لا أعرفك ، فقال الشاب : أعرفك يا صالح منذ زمن بعيد أيام كنا صغاراً ! فقال صالح وقد عقدت الدهشة لسانه : أتعرفني أيام كنا صغاراً ؟ ! عرفني على نفسك بارك الله فيك ! فقال الشاب والابتسامة لا تفارق شفتيه : ألا تذكر «أبا سعيد» سائق أبيك ! ؟ فهب صالح من مكانه وصاح وهو يعانقه : سعيد ! سعيد ! أنت سعيد ! ؟ اعذرني يا سعيد ! فوالله لولا عرفتني على نفسك ما عرفتك ! لقد تغيرت كثيراً يا سعيد ! لقد غيرتك السعادة كثيراً كما غيرني الشقاء كثيراً ! فقال سعيد : لا عليك يا صالح ان النفوس الطيبة لا تتغير مهما تغيرت عليها الأحوال ! فقال صالح : أنت طيب ! وأبوك طيب ! وانك لتستحق ما أنت فيه تماماً كما أستحق أنا كذلك ما أنا فيه ، فانما الجزاء من جنس العمل فقال سعيد : دعك من هذا الآن ! وقل لي : ما الذي تود أن تفعله ؟ فقال صالح : كما ترى ! أبحث عن عمل لعلي أوفر مبلغاً أبدأ به من جديد ! فقال سعيد : لا يا صالح ! لا تبحث عن عمل ! فقال صالح مستغرباً : كيف لا أبحث عن عمل يا سعيد ؟ هل تريدني أن أعود الى الخطأ مرة أخرى ! ؟ يجب أن أتعب وأشقى ! ما تربيت في صغري فدعني أفعل ذلك الآن ! فقال سعيد مشفقاً عليه : هوّن عليك يا أخي صالح ! كل الناس معرضون للخطأ ، وكل خطأ يمكن تصحيحه اذا اعترف المرء بخطئه ، وصمم على عدم الرجوع اليه من جديد . فقال صالح : أنا معترف بخطئي ولن أعود اليه أبداً ! والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين يا سعيد ! فقال سعيد : حسناً ! دعنا نتفاهم اذن ! فقال صالح متعجباً : نتفاهم على ماذا ! ؟ فقال سعيد : أنا لا أنسى حق العشرة الطيبة والعيش والملح معكم ! وان لدي مبلغاً من المال ويمكنني أن أقترض مبلغاً آخر من الشركة ، وسوف أعطيك اياه لتبدأ به من جديد وتستأنف نشاط المحل ، ونكون أنا وأنت شريكين فيه ، أنت اليد التي تعمل ، وأنا العقل الذي يفكر ، حتى نعيد المحل كما كان وأحسن .
فقال صالح وهو يكاد يطير فرحاً : أشكرك يا سعيد ! أشكرك ! لقد كنت دائماً كبيراً ! وأنت اليوم في عيني أكبر وأكبر ! فقال سعيد : لا تشكرني يا صالح ! نحن أخوة ! وعسى أن يكون هذا الدرس عبرة لك ولغيرك ممن يعتقدون أنهم بالمال يمكن أن يحققوا كل شيء . العقل أهم من المال ، وهو الذي يحرس المال وينميه ، والعقل من غير علم ظلام ، فالعلم نور العقل . والطريق الذي ينيره العقل والعلم هو الطريق الصحيح الواضح الذي يوصل الى الأمان والنجاح والسعادة . فقال صالح : صدقت يا سعيد ! صدقت ! فقال سعيد : هيا بنا الآن ! فقال صالح وقد أخذته الدهشة مرة أخرى : الى أين يا سعيد ؟ فقال : الى بيتكم ! نسلم على والدك ونطمئن اليه ونطمئنه ! فقال صالح جذلان فرحاً : بارك الله فيك ! هيا بنا ! ! ●

حسن حسن سليمان — عرعر

وقفت للحق أحلامي

للشاعر: الياس قنصل

عاينتُ جاري وراءَ المالِ مندفعاً ... يجْني ويكنزُ ما يجْني بلا كَلَلِ
وفي محيّاهُ فيضٌ من بشاشتِه ... فيها تجلّى دليلُ الرغْد والجذلِ
فرحتُ أنسجُ في منواله دَأَبي ... وابذُلُ السعْيَ ركضاً غير ذي كسلِ
حتى وصلتُ الى ما رمْتُ من هدفٍ ... واحرزَ الفوزَ ما باشَرت من عمَلِ
فرنّ في خاطري صوتٌ يعنّفني ... لِما ارتكبْتُ من الأسْواء والخللِ
أينَ السعادةُ من قصرٍ تشيّدُه ... وان يكنْ ثابتَ الأركانِ كالجبَلِ ؟
أينَ السعادةُ من مالٍ تجمّعه ... يحفُّ عيشك بالدّيباج والعسَلِ ؟
هذي التهاويلُ مهما ضاءَ مطْلعُها ... ضربٌ من الوَهْم في شكلٍ من الزّللِ
وحال مستقبلي ليلاً بلا شفقٍ ... لأنني قد وجَدتُ اليأسَ في أملي

* * *

وشِمْتُ خلّي ونيْلُ الجاه مقصَدُه ... يخوضُ ميدانَه في جُرْأةِ البطَلِ
ان يعترضْ قصْدَه أو دربْه أحدٌ ... نحّاه عنه بلا بطءٍ ولا وجَلِ
وحدّثتني نفسي أنْ أقلّده ... وأجْتلي مِنْ خفَايا صنعه مثَلي
فما تراءى لعَيْني مَنْ يُشاكسُني ... وقد تعبّس مِنْ حقد ومِنْ زغَلِ
حتى عدلْتُ عن استنْزافه أنفاً ... ملاحقاً نيّتي باللّوْم والعذلِ
أينَ السعادةُ من ذِكْرٍ يردّدُه ... لسانُ ممتَدحٍ في كلّ محتَفلِ ؟
أينَ السعادةُ من صيتٍ تمارسُه ... فيبهرُ الناس ما في أمره الجللِ ؟
هذي سحائبُ أوهامٍ مزوّقةٍ ... تمْضي هباءً بلا ريٍّ ولا بَللِ
وعفتُ ما كان يحْيا في رجاءِ غدي ... لأنني في نجاحي راعَني فشَلي

* * *

ضاقَ الزمانُ بآرابي وعفتُها ... وارهقتْني رزاياهُ ولمْ تزلِ
وما شكاتيَ عنْ ضعْفٍ وعن وهَنٍ ... لكن شكاتيَ من كرْهٍ ومن مَللِ
سلكْتُ درْباً عسيراً لا انتهاءَ له ... فيه شهدتُ وجُودي غير مكتملِ
ظننتُ ان اتّباعَ العدْلِ يُبْرِؤُني ... مما أُقاسي فصارَ العدْلُ من عللي
ونالَ غيريَ ما شاء الهنَاءُ له ... أما أنا فسوَى الحرْمانِ لمْ أنَلِ
الحربُ بيْني وبيْن الدّهْر قائمةٌ ... لا عهْد يمْنعُ ما فيها من الشُعَلِ
يأبى عليَّ ضميراً لا يزعْزعُه ... زلفى الى البطلِ أو جريٌ مع الحيَلِ
ولسْتُ أفزَعُ منه ان توعدني ... ولو تقلّصَ من غاراته أجَلي
وقفْتُ للحقّ أحلامي ومعتقَدي ... فكان صِدْقُ شعُوري منتهى خطَلي



تغيرات
قوة العمل في
المملكة العربية السعودية

بقلم: الدكتور عمر الفاروق الس



ـد تغيرات قوة العمل العامة من أهم ظواهر التغيرات السكانية الاقتصادية المعاصرة في المملكة العربية السعودية ، وهي تعكس بوضوح جملة التغيرات في الظواهر الأخرى . ومن المعروف أن قوة العمل تعتبر من أكثر الجوانب الاقتصادية السكانية حساسية لمثل هذه التغيرات الحضارية التي تمر بها المملكة في الوقت الراهن . وقد بدأت تغيرات قوة العمل فيها ببطء نسبي خلال العقدين اللذين تليا اكتشاف البترول (١٩٣٥ — ١٩٥٥) ، متسقة في ذلك مع المرحلة الأولى لاستغلاله ، حيث لم تكن الأبعاد الاقتصادية الواسعة له قد اتضحت بعد على المستويين المحلي والعالمي ، ثم تزايدت معدلات التغير بعد ذلك ، متمشية مع مرحلة تراكم الموارد الرأسمالية وبناء الهيكل العام للاقتصاد خاصة عندما وصل التراكم حداً يسمح باستثمارات وتوظيفات انمائية واسعة النطاق ، ووصول الدولة الى مرحلة القدرة على توجيه اقتصادها توجيهاً شاملا من أجل المستقبل في اطار تصوراتها المحددة لهذا المستقبل .

وقد ارتبطت تغيرات قوة العمل في المملكة بهذه المجموعة من العوامل الداخلية المتصلة باقتصادياتها ونمو مواردها المالية وطاقتها الاستثمارية وجاذبية سوق العمل بها مع ارتفاع مستويات أجوره المعروضة ، كما ارتبطت بمجموعة أخرى من العوامل الخارجية المتصلة بظروف الدول المجاورة لها من الناحية الاقتصادية ، ومن ناحية توافر الأيدي العاملة بمستوياتها ووجود فائض بينها ، ومن ناحية مستويات الأجور في هذه الدول المجاورة الى غير ذلك من العوامل . ولقد كانت هذه العوامل جميعها في صالح سوق العمل في المملكة ، إذ تزايدت جاذبيته وقدرته على اغراء فائض الأيدي العاملة في هذه الدول على النزوح اليه للاقامة بها فترات متفاوتة ، أو المساهمة بدرجات متباينة الفعالية في عملية التنمية الشاملة الجارية بها الآن .

وتشير الشواهد ، قبل البترول ، الى انقسام قوة العمل بالمملكة ، آنذاك ، الى اطارات واسعة ، دون تخصصات واضحة ، تابعة للأنشطة الاقتصادية السائدة ، الرعي والزراعة والتجارة ، وتعوز هذه المرحلة الأرقام تماماً .. حيث لا تكاد توجد أية احصائيات عدا تلك التي تخص شركات البترول عن تكوين قوة العمل بالمملكة قبل ١٩٦٥ ، ولا يعني ذلك انها قد اكتملت بعد هذا التاريخ ، فهي بين ٦٥ — ١٩٧٠ مجرد أرقام مبثوثة هنا وهناك ، تقديرية غالباً وغير متكاملة ، وهي بعد ١٩٧٠ أكثر انتظاماً .. غير أنها ما تزال تفتقر الى تفصيلات كثيرة (مثل سن الدخول والخروج من قوة العمل ، وتركيبها من حيث النوع والسن .. وغير ذلك) ، وهي ، بعد ، مجرد توزيع قوة العمل على الأنشطة الاقتصادية المختلفة .

وبافتراض بساطة الأنشطة الاقتصادية السائدة في المملكة قبل البترول ، وذلك ضمن الاطار الحضاري السائد آنذاك ، وبالنظر الى جملة التغيرات الحضارية الأخرى بعد البترول ، يمكن تحديد أهم تغيرات قوة العمل في المملكة فيما يلي :

التغيرات الكمية

يعكس النمو السكاني العام ، وسن الدخول الى قوة العمل والخروج منها ، ما يمكن أن يطرأ على قوة العمل في مجتمع ما من تغيرات كمية ، بالاضافة الى عناصر أخرى تفصيلية .

والمرجح أن الدخول الى قوة العمل الرعوية أو الزراعية يكون مبكراً بالنظر الى بساطة العمل ذاته ، فضلا عن قدرة الجميع على القيام به إناثاً أو ذكوراً في ناحية من نواحيه على الأقل ، وفي اطار اقتصادي معيشي ضئيل الفائض ، تقل نسبة المتفرغين لأعمال أخرى غير متصلة بالعملية الانتاجية اتصالا مباشراً (كالتفرغ للتعليم مثلا) .. ومن ثم فالغالب في مثل هذه المجتمعات أن تكون نسبة قوة العمل الى جملة السكان عالية ، وذلك بالقياس لغيرها من مجتمعات الاقتصاد الصناعي والتجاري ، خاصة وأن سن الخروج من قوة العمل أيضاً مفتوحاً ، أي لا يلزم خروج شخص ما من قوة العمل الرعوية أو الزراعية في سن معينة ، والأرجح أن لا يحدث ذلك الا بالمرض المستعصي أو بالوفاة ، حيث يعجز الاقتصاد المعيشي عن اعالة من لا يعمل . فعلى كل فرد من أفراد المجتمع أن يعمل حتى وان كان في حقيقته عملا تكافلياً .

غير أن هذه الصورة قد اتجهت للتغير بعد البترول ، وبالأخص بعد تراكم موارده ، حيث اتجهت نسبة متزايدة من فئات السن الدنيا «أقل من ١٥ سنة» نحو التعليم ، واستطاعت نسبة أخرى متصاعدة من اتمام تعليمها الى مراحل أخرى قد تمتد الى سنوات متأخرة من مرحلة الشباب «١٥ — ٣٠ سنة» ، ويعبر ذلك عن نمو قدرة المجتمع على إعالة نسبة من أفراده حتى سن متأخرة نتيجة تراكم مدخراته ، وفي نفس الوقت أصبح هناك سن محددة للخروج من قوة العمل ، إما بالتقاعد الاختياري أو القانوني ، وقد يعني ذلك ، ضمن ما يعنيه ، تناقص نسبة قوة العمل الى جملة السكان ، أي زيادة عبء الاعالة ، خاصة في المجتمعات الحضرية التي تعرضت أكثر لمثل هذه التغيرات ، وكذلك في القطاعات الوظيفية والاقتصادية الحديثة سواء ما يتصل منها بالانتاج «الصناعة ، التجارة ، المؤسسات» أو بالخدمات «التعليم ، الصحة ، البلديات» ، غير أن ذلك يعني أيضاً ارتقاء قوة العمل كيفاً بدرجات ، حسب قدر تأثر عناصرها بعوامل التغير .

التغيرات الكيفية

يعني الارتقاء الكيفي لقوة العمل تنوعها وزيادة درجة التخصص والتمايز بين أقسامها ، ونمو الطلب على التخصصات الدقيقة في مجالات اقتصادية عديدة ، ويسهم التعليم ومراكز التدريب بالدور الأكبر في هذا المجال ، حيث تتعدد المدارس وتتنوع وتعلو مستوياتها ، وتنتشر مراكز تدريب الأيدي العاملة ويزداد عددها وفروعها ، وتظهر الجامعات لتلبية احتياجات المجتمع في كافة المجالات . وقد يحتاج المجتمع في هذه المرحلة الى استقدام ما ينقصه من العناصر

البشرية عالية الكفاءة من الخارج ، وابتعاث بعض أفضل العناصر من المواطنين الى الخارج للحصول على الدربة اللازمة في مجالات شتى . وبالفعل – فإن قوة العمل السعودية تتعرض لهذه التغيرات الكيفية من كافة زواياها .

● تزايدت قوة العمل العامة في المملكة من نحو ١,١١ مليون عامل في عام ١٩٧٠ ، الى ما يزيد قليلا على ١,٥٢ مليون عامل في عام ١٩٧٥ . وتبعاً لمعدلات الطلب الحالية على الأيدي العاملة في كافة القطاعات الاقتصادية فمن المتوقع أن تصل جملتهم الى ٢,٣٣ مليون في عام ١٩٨٠ ، وتشير التقديرات الى أن معدل نمو الأيدي العاملة السعودية أقل منها لغير السعودية «٣,٧٪ مقابل ٤,٢٪ على الترتيب» ، ومع ذلك لا تزال الأيدي السعودية تشكل نحو ٨٠٪ من جملة قوة العمل بالمملكة حتى عام ١٩٧٥ .

● ما تزال نسبة قوة العمل السعودية الى جملة سكان المملكة أقل مما يجب ، حيث أنها تراوحت بين ٢٢,٢ و ٢٣,٣٪ في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٥ ، ويعني ذلك ارتفاع نسبة الاعتماد على عناصر قوة العمل الخارجية .

● تقدر الزيادة المتوقعة في الأيدي العاملة السعودية خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٧٥ – ١٩٨٠ بنحو ٢٣٢ ألف عامل ، أي بزيادة ٣,٤٪ سنوياً ، كما يتوقع أن يصل عدد العاملين من غير السعوديين الى حوالي ٦٠٠ ٨١٢ عامل في عام ١٩٨٠ ، أي بزيادة فعلية قدرها ٦٠٠ ٤٩٨ عامل بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠ .

وبذلك يمثل العمال غير السعوديين مصدراً مهماً من مصادر احتياجات الأيدي العاملة بالنسبة لكافة المستويات الوظيفية والقطاعات الاقتصادية بالمملكة ، غير أنه لا يمكن الاعتماد تماماً على البيانات المتوافرة عن عدد العمال الوافدين من أنحاء شبه الجزيرة ، وتشير بيانات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية الى أن أغلبية العمال الوافدين والنازحين والمستخدمين في القطاع الخاص غالباً ما ينتمون الى فئات أصحاب الحرف ومشغلي الآلات والأعمال اليدوية .

● ان تشكل الهجرة الداخلية للأيدي العاملة السعودية ظاهرة قد تؤثر على الاطار الاجتماعي لكل منطقة من مناطق المملكة . فخلال الفترة الممتدة بين ١٩٧٠ و ١٩٧٥ كانت الهجرة الى المناطق الغربية والوسطى والشرقية موجبة ، بينما اشتدت تيارات النزوح من المنطقتين الشمالية والجنوبية ممثلة بأفضل عناصر سكانها من الشباب الذين يمثلون قوة العمل الأساسية بالمنطقتين . وتفسر هذه الاتجاهات اقتصادياً بأنها هجرة زراع ورعاة الى مراكز الحضر ومناطق البترول . ومن المتوقع أن تحدث زيادة في معدلات النزوح من المنطقة الجنوبية الزراعية . فالثابت أن استجابة البدو الرعاة لجاذبية عوامل الهجرة كانت أسرع وأكثف من استجابة الزراع ، ومن ثم شهدت البادية نزوحاً مبكراً بالقياس الى النزوح المتأخر من الريف . فالمزارع أقل ميلا لترك قريته وخاصة مزارعي عسير وتهامة حيث تحقق انتاجية الزراعة مستوى يصعب التخلي عنه بسرعة ، خاصة في ظل مطالب الحياة البسيطة للزارع عموماً . أما الرعاة فقد كانت استجابتهم عالية وتلقائية ومباشرة لعوامل التغير الاقتصادي المعاصرة في مناطق المملكة .

وتشير أنماط الهجرة في المملكة الى زيادة معدلات النزوح الى المدن والمراكز الحضرية من قبل سكان الريف والبادية ، وقد تستمر مدن المملكة الرئيسية في اجتذاب المزيد منهم ، وتتجه هذه الأيدي العاملة عادة الى الاشتغال في قطاعات الخدمات وتجارة التجزئة والاستهلاك ، مما يؤدي الى ارتفاع نسبة الأيدي العاملة من ذوي المهارات الواقعة في قاعدة هرم المهارات الوظيفية .

● يمر تكوين قوة العمل بالمملكة بمرحلة تغير أساسية ، حيث تنمو قوة العمل التفصيلية في كافة القطاعات الاقتصادية بمعدلات متفاوتة ، وذلك باستثناء قطاعي «الزراعة والرعي» . فبعد أن كانت الزراعة تستوعب ٢٨,٣٪ من اجمالي قوة العمل في المملكة في عام ١٩٧٠ ، فقد تناقصت الى نحو ٢٠,٥٪ في عام ١٩٧٥ . وتبعاً لمعدلات الطلب الحالية على الأيدي العاملة فمن المتوقع أن تتناقص هذه النسبة الى ١٢,٧٠٪ فقط في عام ١٩٨٠ . أما بالنسبة لقطاع الرعي ، فقد تناقصت نسبة العاملين فيه من ١٢,١٪ في عام ١٩٧٠ الى ٧,٥٪ في عام ١٩٧٥ . ولا ينتظر أن تزيد نسبتهم على ٤,٢٪ من اجمالي قوة العمل العامة في المملكة بحلول عام ١٩٨٠ .

● تحقق قوة العمل السعودية أعلى معدلات نموه في قطاعي «العمران والتجارة» ، فقد تزايدت نسب العاملين في القطاع العمراني من ١٢,٨٪ في عام ١٩٧٠ الى ٢٠,٦٪ في عام ١٩٧٥ ، والمتوقع أن ترتفع هذه النسبة خلال عام ١٩٨٠ بحيث تستوعب ٢٥,٤٪ من اجمالي قوة العمل في المملكة ، وذلك حسب معدلات الطلب الحالي في سوق العمل السعودية ، وبذلك تحتل المرتب الأولى بين كافة القطاعات من حيث نسب الاستيعاب .

أما بالنسبة للقطاع التجاري ويشمل تجار الجملة والتجزئة ، والمطاعم والفنادق ، والتموي والتأمين والعقارات ومكاتب العمل ، فقد تزاي الحجم الفعلي لقوته العاملة بنسبة ٦٢,١٪ في الفترة ما بين عام ١٩٧٠ وعام ١٩٧٥ ، ويتوقـ أن ترتفع هذه النسبة لتصل الى ٧١,٣٪ خلال السنوات الثلاث القادمة .

● نمت قوة العمل التفصيلية بعد ذلك بمعدلات متفاوتة في بقية القطاعات الاقتصادية والوظيفي الأخرى ، فبينما زاد الحجم الفعلي للعاملين في قطاع «الخدمات» بنسبة ٣٧٪ خلال الفترة الواقع بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٥ ، فمن المتوقع أ ترتفع هذه الزيادة الى ٥٨٪ ، وبذلك تص نسبة استيعابه بحلول عام ١٩٨٠ الى نحو ١٢,٨ من اجمالي قوة العمل . وفي قطاع «النقا والمواصلات والتخزين» ارتفع الحجم الفعـ للعاملين فيه بنسبة ٦٦,٢٪ خلال الفترة الواق بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٥ ، ويتوقع لها أن تز بنسبة أخرى مقدارها حوالي ٥٧,٥٪ بين عام ١٩٧٥–١٩٨٠ حيث ينتظر لها أن تستوعب حوا ٧٪ من اجمالي قوة العمل العامة في عام ١٩٨٠

وبينما تزايد الحجم الفعلي للعاملين في قطا

الصناعة» بنسبة ٢٨,٨٪ ، تناقصت نسـبة ستيعابها قليلا الى اجمالي قوة العمل خلال الفترة لمتدة بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٥ . ويتوقع أن تضاعف عدد العاملين فيها بحلول عام ١٩٨٠ . تتكرر دلالات تفـاوت معـدلات النمو في قطاعات الأخرى مثل «التعدين ، والمرافق ، لصحة ، والتعليم» ، وان كانت التوقعات بالنسبة عاملين في قطاع التعليم لسنة ١٩٨٠ سترتفع لى ضعف ما كانت عليه في عام ١٩٧٠ .

وهكذا يتضح لنا أن أهم وجوه التغير في تكوين وة العمل السعودية ، انما تتمثل في تراجع قطاعي الزراعة والرعي» عن المرتبة الأولى التي كانا حتلانها معاً في عام ١٩٧٠ باستيعابهما لنحـو ٤٠,٪ من اجمالي قوة العمل العامة في المملكة نذاك . ومن المتوقع أن تتدنى هذه النسبة الى ١٦,٪ خلال عام ١٩٨٠ .

ـاتمة حول تغيرات قوة العـمل في ملكة وتوقعـاتها

رغم قصر الفترة الزمنية الممتدة من عام ١٩٧٠ لى عـام ١٩٨٠ التي أوضحت بعض ظواهر غيرات قوة العمل العامة في المملكة ، وألقت يئاً من الضوء على احتمالاتها وتوقعاتها في المستقبل لقريب ، فإن أهميتها الرئيسية ، انما تتلخص ، الواقع في ابراز أهم الديناميات والعوامل المؤثرة ، هذه التغيرات والتوقعات كما أنها قد طرحت جموعة من التساؤلات المتصلة بكل ذلك يمكن تحديدها فيما يلي :

أولا : تتصل المجموعة الأولى من التساؤلات وارد قوة العمل البشرية في المملكة من الأيدي عاملة المتجددة ، ومدى كفاية كل منها ودرجة عاليتها . ومن المعروف أن هناك ثلاثة مصادر ساسية لتجدد القوة العاملة بصفة عامة تتمثل ، الهجرة من مناطق الريف والبادية الى المدن لمراكز الحضرية ، وفي استيراد الأيدي العاملة ن الخارج تحت جاذبية عوامل اقتصادية عديدة ، ، في الزيادة الطبيعية للمجتمع السكاني ، ولكل صدر من هذه المصادر دينامياته الخاصة ، فبالنسبة للهجرة من المناطق الريفية والبدوية هناك عوامل الجذب الى المراكز الحضرية تحت دوافع عديدة ، وهي لا تخلو ، آخر الأمر ، من المشاكل التي تتصل بعملية تفريغ المناطق الريفية والبدوية من سكانها ، وما يتداعى عن ذلك من انهيار اقتصادياتهما ، وهي ليست مسألة هينة ، ثم هناك ما يتصل أيضاً بمدى فاعلية الأيدي العاملة الزراعية أو الرعوية في مجال الوظائف الحضرية ، ومدى احتياجها للتعليم والتدريب . وهناك مشاكل المدن المتضخمة فوق امكاناتها ومرافقها ، والتي تعاني ، أصلا ، من مشكلات التخمة والكثافة السكانية ، وكذلك الأمر بالنسبة لاستيراد الأيدي العاملة اللازمة ، فإن لها دينامياتها أيضاً ، وترتبط هذه باقتصاديات المملكة ونمو مواردها المـالية وطاقتها الاستثمارية وجاذبية سوق العمل فيها .

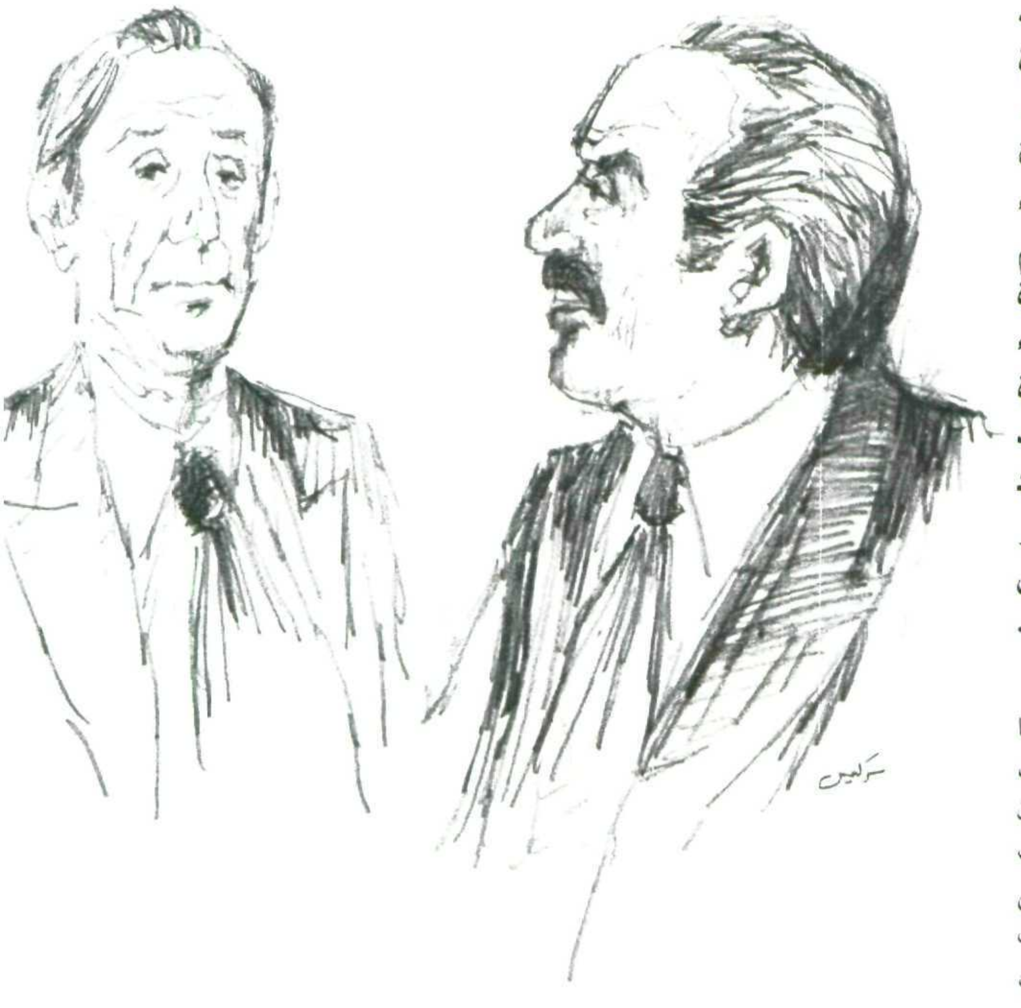
ثانياً : أما المجموعة الثانية من التساؤلات ، فتتصل بتحليل طبيعة وخصائص سوق العمـل المطلوبة ، أو من حيث خصائص ومواصفات القوى العاملة المطلوبة ، أو من حيث تحليل معدلات الاسهام الاقتصادي لكل مستوى من مستويات القوى العاملة ، وكذلك من حيث توجيه التغيرات المتلاحقة الراهنة في كل هذه النواحي ، وتحديد أسباب ونتائج كل منها . فقد اتضحت خلال السنوات الماضية مجموعة من الأسباب التي أدت الى تغير خصائص سوق العمل في المملكة والى اتخاذها اتجاهاتها الراهنة ، يتصل بعضها بالجهود التي بذلت وتبذل في اتجاه تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة في مناطقها ، ويترابط البعض الآخر بمتطلبـات التحول من اقتصاديات الزراعة المعيشية الى زراعة المحاصيل التجارية والصناعية ، ومن الصناعات اليدوية التقليدية الى الصناعات العلمية المتخصصة ، ومن الرعي المترحل الى الرعي المختلط باقتصاديات الزراعة والمتكامل معها .. ويتطلب كل ذلك وغيره عناصر من الأيدي العاملة ذات مستوى تدريبي خاص وخبرة عالية في مجالاتها . وتنطبق الحالة نفسها بالنسبة لمجالات التنمية الاجتماعية مثل «التعليم ، والصحـة ، والخدمـات ، والمرافق ..» ، وبناء على ذلك ، فقد تزايدت الحاجة الملحـة الى مثل هـذه العناصر من الأيدي العاملة .

وتتم مواجهة احتياجات القطاعات الاقتصادية والاجتماعية في المملكة الآن بوسيلتين رئيسيتين ، تتمثل الأولى في استقدام الأيدي العاملة من الخارج لفترات متفاوتة .. ومن تخصصات مختلفة ومستويات فنية متباينة ، وذلك لسد احتياجاتها الراهنة من جهة ولمواجهة متطلبات خطة التنمية الشاملة بها من جهة ثانية . أما الوسيلة الثانية فتظهر مع البرامج المختلفة لرفع كفاءة وفعالية قوة العمل السعودية ، عن طريق التوسع في انشاء مراكز تدريب الأيدي العاملة المختلفة الأهداف والمستويات في مناطقها ، لتحقيق درجة من الوفرة الكمية في عدد الأيدي العاملة السعودية ، وتحقيق مستوى أعلى من الناحية الكيفية بينها .

ثالثاً : أما المجموعة الثالثة من التساؤلات ، فترابط مع تحليل الهيكل الوظيفي لقوة العمـل السعودية ومتابعة تغيراتها ، والواقـع أن تراتب الوظائف في هذا الهيكل ، ونسبة استيعاب كل قطاع وظيفي بـه وما يتعرض له من تغيرات متتابعة متلاحقة ، يمثل مشكلة مطروحة بشكل جوهري في الحاضر والمستقبل ، ويتحدد السؤال على النحو التالي «هل هناك هيكل وظيفي أمثل لقوة العمل ، هيكل وظيفي تتراتب في اطاره جملة وظائفه بنسب تتحقق من خلالها أعلى كفاءة ممكنـة لفعالية هذه الوظائف بالنسبة للنمو الاقتصادي ومعدلاته ، وللتنمية الاجتماعيـة باتجاهاتهـا المختلفـة ؟»

الواقع أن الاجابة عن مثل هذه التساؤلات وغيرها ، انما تنتظر جهوداً واسعة متصلة في مجال دراسة قوة العمل في المملكة ، ومتابعة تغيراتها المتشابكة ، تلك التي تمثل في جملتها وجهاً من أهم وجوه التغير الحضاري الراهن في المملكة ●

د. عمر الفاروق السيد – جامعة الملك عبد العزيز



الذاكرة وشرود

بقلم: الأستاذ لطفي ملحس

يشكو عدد كبير من الناس فقدان الذاكرة ، ونجدهم اذا أرادوا تقديم أحد أصدقائهم الى شخص آخر ، نسوا اسمه . وهناك من تملكه الرغبة في التحدث عن شيء جميل قرأه في أحد الكتب ، ولكن ذاكرته لا تسعفه فيظل مبهوتاً صامتاً . فهل الذاكرة عنصر شاذ لا يمكن ضبطه والسيطرة عليه ، وهل في مقدورنا أن نلهبها أم انها محدودة القوى ، وفيما يلي بعض ما يقوله علماء التحليل النفسي فيها ، وربما قلبت نظرياتهم الحديثة جميع ما عرفناه ووعيناه عن الذاكرة من قبل ذلك . ونود أن نعرف قبل كل شيء ما اذا كانت هناك حدود تقف الذاكرة عندها .. •كلا ، انها لا تقف عند حد معين لأنها مطاطة تسير على قاعدة «توارد الخواطر» ، وكلما كان المرء غنياً بالأفكار المختزنة في دماغه ، سهل عليه تنسيق الخواطر وربطها في سياق منسجم متلائم .

أشياء يصعب تذكرها :

لقد لوحظ أن أرقام الهاتف هي التي تغيب عنا أكثر من غيرها وتجيء بعدها على التوالي الاحصاءات والتواريخ والأسماء . ويوجد بيننا أناس لا يأبهون للأرقام ويعتبرونها من الأمور التافهة التي لا توجب العناية . وهل يجب علينا حصر أفكارنا والعكوف على أنفسنا من أجل تذكر الأشياء ؟ يشير الواقع الى أن حصر الفكر يساعد كثيراً على نقش الموضوع في الذاكرة ، ثم عندما يحين الوقت لتذكره وروايته نفقده جملة واحدة . فحصر الذهن اذن على أساس

حفظ عن ظهر قلب يشكل عقبة كأداء أمـــام ـاكرة ، وربما أدى ذلك فيها الى وقوع التباس الأسماء المترادفة والمتواردة ، أو أنه يحملها على تجاه وجهة أخرى حين تعترض طائفة من الأفكار نحاول استدعاءه من ذهننا .

ستلهام الذاكرة وشحذها

من الخير لمن يريد استلهام ذاكرته أن يخلد الى سكينة ، ويتراخى ويدع فكره يطوف في آفاق يئة بالخيالات والصور ، وحينئذ يهبط عليه بمنتهى سر ما كان مصراً على استدعائه . ومن حقنا أن ساءل : هل الأشياء الهينة اللينة ، أم الصعبة معقدة هي التي تعلق قبل كل شيء بالذاكرة ؟ حقيقة الأمر أن الأشياء الصعبة هي التي تسجلها ـاكرة أولا ، لأن الجهد المبذول في ملاءمتها يساعد لى ارتسامها في الذهن . وقد لوحظ أن التلاميذ ـين يحفظون الأرقام عن ظهر قلب لا يبقى في هانهم منها غير أربعين بالمئة مع مضي الزمن . هل في مقدورنا أن نفيـد من ذاكرتنا اذا نحن شوناها بسلسلة من التواريخ نسردها عند الحاجة ؟ كلا .. انه يجب علينا ألا نحفظ وقائع وتواريخ قيمة لها . ولو فعلنا ذلك لما كسبنا شيئاً . فالذاكرة يعنيها على الأغلب غير الوقائع المفيدة ذات القيمة الغة وتبتعد بطبيعتها عن التوافه .

لقد غدت قوة الذاكرة عنصراً حيوياً من عناصر النجاح وبخاصة بعد أن تعقدت مطالب الحياة . وكان قد أجري استفتاء في احدى الولايات أمريكية بين «٢٥٢» أماً سئلن فيه عن تاريخ اليوم ـذي مشى فيه أطفالهن ، فلم يتذكر ذلك منهن ـوى ٤٠ بالمائة فقط ، وتذكرت ٣٦ منهن يوم ظهور السن الأولى لأطفالهن ، ٤٩ تذكرن أوزان أولادهن عندما بلغوا من العمر عاماً واحداً . ولعلك تلمس الى أي حد يدل ذلك على ضعف الذاكرة السائدة بين الناس ، اذا علمت أن الأولاد الذين سئلت أمهاتهم هذه الأسئلة ، لم تكن أعمارهم تزيد على ٢١ شهراً . ولعل من أسهل الأمور وأكثرها ضماناً لتنشيط الذاكرة أن يحاول المرء أن يتذكر الشيء عند سماعه أو قراءته للمرة الأولى . فعندما يحاول المرء ذلك ، تكون ذاكرته أشد حساسية لالتقاط ما يسمع وما يقرأ مما لو تركت طليقة بغير ايعاز أو ايحاء . كذلك يستحسن أن يردد المرء بصوت عال الأشياء التي يريد أن يختزنها في ذاكرته . وقد دلت التجربة على أن ذلك يزيد ما يتذكره بمقدار ١٥٪ ، كذلك يفضل أن يكرر المرء الحديث عن الأشياء المهمة التي يريد أن تلصق بذاكرته في النادي ، وعلى المائدة وفي المنزل ، وفي المكتب ، وغيرها من الأمكنة في الأيام الأولى من حدوثها أو السماع عنهـــا . فبالتكرار يحفظ الأطفال جدول الضرب والحروف الأبجدية والقواعد الأولية ، قبل أن يفهموها ، وكذلك الكبار . وثمة قاعدة أخرى لها أثر فعال في سهولة تذكر الأشياء وتثبيتها في الذهن ، وهي أن توجد علاقة بين الشيء الذي تريد أن تتذكره وشيء آخر مألوف لديك . ولا شك في أن اتباع المرء لهذه القواعد لن يزيد خلايا مخه ، ولكنه سيحسن ذاكرته حتماً بدرجة كبيرة .

هل تعلق بالذاكرة الذكريات العذبة اللطيفة أم المؤلمة الشاقة ؟

لقد دلت التجارب على أن الذكريات العذبة هي التي تبقى في الذاكرة أكبر مدة ممكنة ، لأننا نميل بسليقتنا الى تذكرها والعيش في جوها مرة أخرى بينما تجدنا جميعاً نحتفظ غريزياً بالذكريات المؤلمة ونختزنها في عقلنا الباطن ، وهذا هو السبب في أن الطفولة تتراءى لنا جميلة . ونرى معظم النـاس يتنهدون حين تعاودهم ذكرياتهم في أيامهم الماضية .. ونتساءل هنا عما اذا كانت ذاكرة الأطفال وقادة أكثر من ذاكرة الشباب ؟ وفي الاجابة عن هذا السؤال نقول : ان الأمر متوقف على ما يراد حفظه . فالأولاد من عادتهم التهام المعلومات الجديدة التهاماً ، بينما الشاب لا يحفظ من الأشياء إلا ما يتوارد مع الخواطر السابقة المرسومة في ذهنه . ثم هل يمكن أن يكون الرجال أقوى ذاكرة من النساء ؟ وكما ذكرت سابقاً أن الرجال لا يفضلون النساء من هذا القبيل ، فالبنت أقوى ذاكرة في دروسها من الصبي ، ونرى النساء في المجتمع هن اللواتي يتذكرن المعلومات العامة ويروين الشيء الكثير عن طفولتهن ، ثم انهن يتفوقن على الرجال من ناحية تذكر المشـاهدات والمسموعات والمتذوقات . ومع ذلك يمكن القول بأن كل جنس يذكر ما يعنيه وما يهمه بالدرجة الأولى . فالمرأة تتذكر وقائع المجتمع والوسط الذي تعيش فيه والأزياء والألوان والأشخاص . والرجل يتذكر الأرقام والعناوين ويستنتج ويقارن .. ولا ننسى أن الانسان يفقد أحياناً جزءاً من ذاكرته حين تتقدم بـه السن .

كيف نستطيع شحذ الذاكرة ؟

لقد ذكر بعض المربين أن الانسان لا يكون مالكاً ذاكرته إلا في العشرين من عمره ، ثم تفقد الذاكرة في الخامسة والأربعين من العمر خمسة عشر بالمئة من حدتها . وبعد هذا السن يبدأ الانسان بفقدان الرغبة في الحفظ والمطالعة والتثقف والافادة من المعلومات الجديدة . ويظل عائشاً في نطاق آرائه التقليدية المكتسبة في زمن مضى . مع العلم

لذهن والنسيان

بأن العقل الناضج لا يتوقف مطلقاً عن التفكير لأنه يملك طائفة كبيرة من الذكريات تساعده على الاستنتاج والقياس والمقارنة . فكيف نستطيع شحذ الذاكرة وحفظ ما يراد حفظه ؟ يجب علينا قبل كل شيء أن نقرأ النص من أوله الى آخره . وحين نلم بخطوطه الكبرى تتسجل التفاصيل في ذاكرتنا بسهولة .

وتدل التجارب على أن طريقة الحفظ بأجزاء صغيرة أكثر فائدة من الحفظ دفعة واحدة .

طرائف عن أقوياء الذاكرة

عرف أحد المؤرخين العرب بذاكرته القوية وبدقته فيما يكتب ، وحرصه الدائم على مراجعة ما ينتجه من بحوث ، فيجري عليها ما يراه ضرورياً من تنقيح وتشذيب ، حتى أنك لتخاله وهو يطلع على قرائه بطبعة منقحة من كتاب له ، وكأنه خرج بكتاب جديد تماماً يختلف كل الاختلاف عن الأصل . وحدث ذات مرة أنه كان يحتفظ بعدة مخطوطات لكتب ألفها ، وكان أراد أن يفاجىء بها قرّاءه فتنتشر مرة واحدة بعد وفاته . ولم يكن قد اطلع على هذه المخطوطات من مؤلفاته سوى أصدقائه الأدباء المقربين لديه الذين كانوا يستعجلونه نشرها على قرائه لما لمسوا فيها من أدب رفيع .. ولكنه كان يضن بتحقيق مطلبهم ما دام هو على قيد الحياة . ولسوء الحظ شب حريق في داره ذات يوم فأتت النيران على هذه المخطوطات فيما أتت عليه . واذ زاره أصدقاؤه الأدباء مبدين أسفهم ومرارتهم على هذه الخسارة الأدبية ، استقبلهم المؤرخ العربي ببشاشة وهو يقول «لا تحزنوا يا أصدقائي ، فسأعيد كتابة هذه المؤلفات لأنني أحفظ كل حرف تضمنته عن ظهر قلب . ! » .

ومن أقوياء الذاكرة أو الحافظة العرب «أبو العلاء المعري» . ويحكى فيما يحكى عنه أنه استمع مرة لحديث بين أعجميين لا يعرف لغتهما ثم اختلفا واستشهدا به . فأعاد كلامهما حرفاً حرفاً ، وساعد القاضي على اصدار حكمه ! .

آفة النسيان

ان النسيان عمل من أعمال الذهن ، كالتذكر تماماً ، وليس في مقدورنا أن نتذكر شيئاً إلا اذا نسينا أشياء ، حتى ليمكن أن يقال أن الذاكرة هي أداة النسيان ، ونحن نفكر بفضل ما نسينا كما نفكر بفضل ما تذكرنا . ويبدو عظماء الكتاب دائماً كأنما لا يعرفون إلا القدر الكافي لأغراضهم الحاضرة ، ولا يحملون حقائب تجاوز مقدار الحاجة . والنسّاء «أي الكثير النسيان» لا يزال أبداً جديداً يدهش حتى نفسه . والحقائق عنده أقل ، ولكن الآراء عنده أكثر منها عند من يتذكر من أعماق نفسه ، وبه دهشة صريحة من أن يكون عنده كل هذه الأشياء وهؤلاء الناس الذين لا تنفد أبداً ذخائرهم من الفكر هم خير المتحدثين ، وخير الأصدقاء لأن أذهانهم ليست كلها معروضة للناظرين .

والنسيان على أنواع منها : النسيان المؤقت ، والنسيان الدائم «غير النهائي» ، والنسيان المطلق .. وأرجىء الحديث الآن عن الخوض في كل نوع من هذه الأنواع الى مقال آخر ، واكتفي بذكر شيء عن طرائف النسيان التي يعرض لها الانسان .

من طرائف النسائين

قال أحدهم : انه لقي من كثرة تردده على الأطباء النفسانيين ومعالجته من مشكلته التي هي داء النسيان الأمرين ، ودون جدوى . واستطرد الرجل يقول : ذهبت ذات أمسية الى أحد الأطباء النفسانيين لأعرض عليه مشكلتي ، فوجدته منفرداً في غرفته يقرأ في كتاب ما . وبعد المصافحة والترحيب قلت للطبيب الذي قد عاد الى متابعة القراءة في كتابه : يا طبيب ، لقد ذهبت الى عدّة أطباء وعرضت عليهم مشكلتي . ولكنني لم أر منهم نفعاً .. فتفرس الطبيب في وجهي ، بعد أن وضع ذلك الكتاب على المكتب مفتوحاً ، وسألني : ما هي مشكلتك يابني ؟ فأجبته وهو لا يزال في تفرسه ، ان مشكلتي ياسيدي ، هي أني سريع النسيان جداً . فهز الطبيب رأسه وسألني : منذ متى بدأت معك هذه المشكلة ؟ فأجبته متسائلا : وأية مشكلة تعني ياسيدي ! ؟ .

ومن النسائين ، رجل أمريكي حكى عن نفسه فقال : ان زوجته طلبت منه أن يضع لها رسالة في صندوق البريد القريب من محطة سكة الحديد ، وقالت : أرجوك ألا تنسى ذلك ، ان الرسالة هامة . ولكنني نسيت . وكنت في طريقي عائداً من المحطة ، واذ برجل يربت على كتفي ويقول : تذكر الرسالة . فعدت أدراجي الى أقرب صندوق للبريد ، وبينما أنا أقترب من الصندوق اذ برجل آخر يلحق بي ويقول : لا تنس الرسالة . وتساءلت في نفسي كيف عرف هذان الغريبان بأمر هذه الرسالة . وبينما أنا على هذه الحال إذ بشخص ثالث يذكرني بالرسالة ، فانفجرت في وجهه صائحاً : ومن أخبرك عنها ؟ انني أرسلتها ، فليسترح بالك . فأجاب الرجل الغريب مبتسماً : في هذه الحالة يمكنك أن تنزع بأمان الورقة الملصقة على ظهرك . فنزعها ، فاذا قد كتب عليها «الرجاء تذكيره بوضع الرسالة في البريد» .

الذاهلون أو شرّاد الذهن

وهناك صلة قوية بين من ينسى شيئاً معيناً بذا
وبين من يقفز ذهنه عن عمل ذلك الشيء الى عم
شيء آخر ، وفي هذه الحالة يقال عن هذا الشخص
انه ذاهل أو شارد الذهن . ولا بأس ، ونحن
هذا المجال ، من أن نذكر شيئاً من طرائف الذاهلي
الذين لا بد وأننا نحن المتحدثين عنهم قد تعرض
ونتعرض أحياناً للذهول وشرود الذهن . وعلى أ
أبدأ بنفسي أنا كاتب هذا المقال فأذكر أنني كنت
مرة قد أخذت آكل الزيتون بقشره ونواته ، وكدت
أن آتي على ما في الصحن جميعه لولا أن نبهني لذلك
ولدي ، وكان الداعي هو انشغال ذهني بالقراءة
كتاب أثناء الأكل . وقد جعلت ابتعد عن ها
العادة — وليس كل الابتعاد — فيما بعد ! .

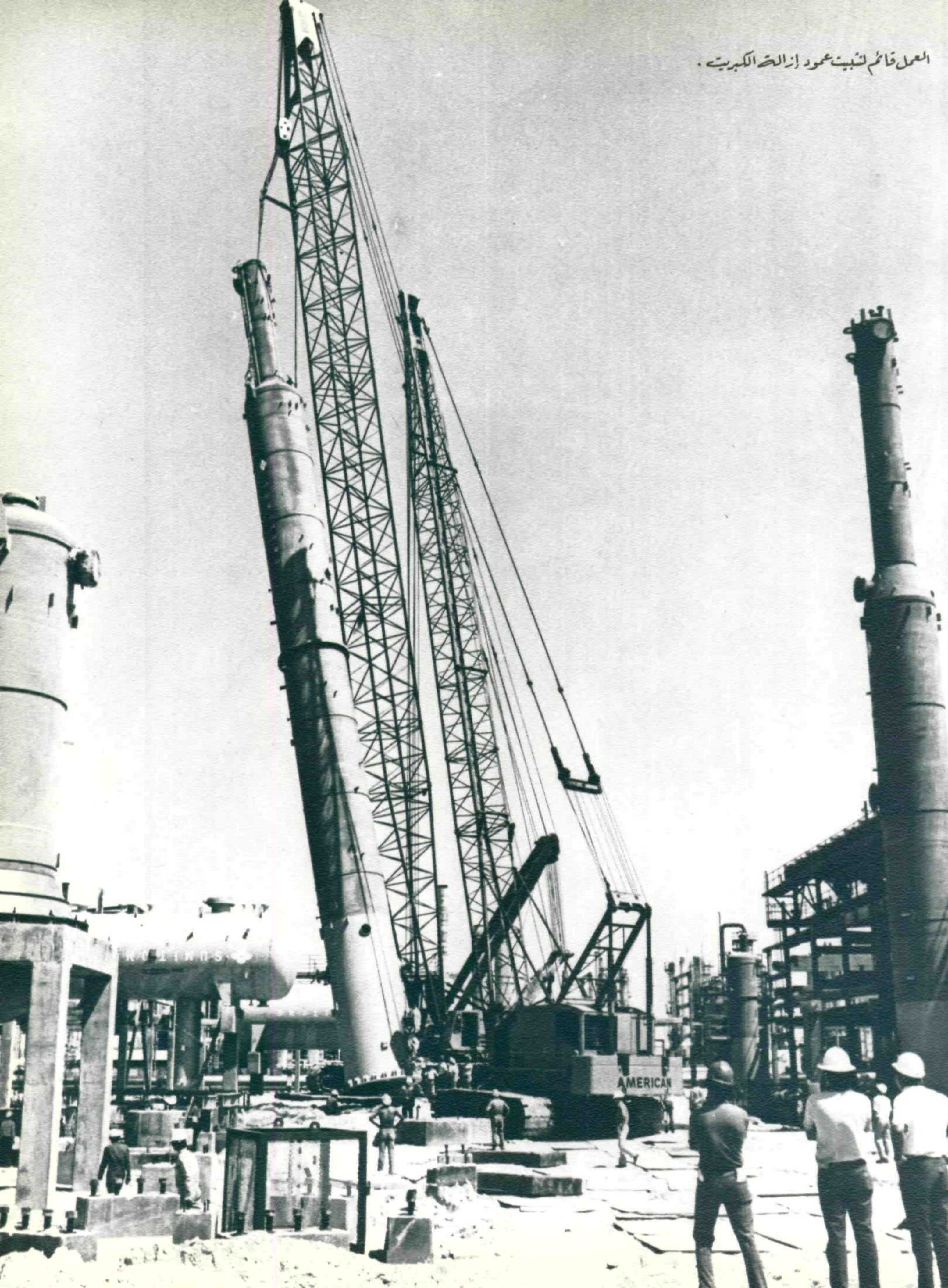
هذا وحادثة أخرى قد حدثت معي من قب
آذن المدرسة ، وذلك هو أنني كنت قب
الدخول لغرفة الدرس طلبت اليه أن يقفل خزا
الكتب التي في القاعة ويضع مفتاحها فوق المنض
في غرفة الادارة . وما أن انتهى الدرس حتى رأيت
أنه بدلا من أن ينقل المفتاح ، قد نقل الخزانة وما في
من الكتب الى غرفة الادارة . فضحكت مغي
وسألته : ماذا طلبت منك يا جبر ؟ فبهت ثم ف
فاه قائلا : أظن المفتاح . لا تؤاخذني ياسيدي
ذهني بقي مشغولا بطفلي المصاب بالحصبة ! .

ويحكى عن العالم اسحق نيوتن أنه دعا ذات يو
أحد أصدقائه لتناول طعام الغداء معه ، واف
الصديق في الموعد المضروب ودخل الى حجرة الط
فوجده معداً وجلس ينتظر صديقه حتى يخرج
معمله . وطال انتظاره ، ولم يكن ليجرؤ على
يقطع عليه تفكيره أو يطرق باب معمله ، وحـ
مل الرجل الانتظار تناول غداءه ومضى . وانقض
ساعات أخر ، ثم أحس «نيوتن» بالجوع . ف
خرج الى المائدة تولته الدهشة إذ رأى بعض الأطب
المستعملة ، فقال لنفسه : «ما أحمقني ، لقد تناول
غدائي ونسيت !» . ثم عاد الى عمله .

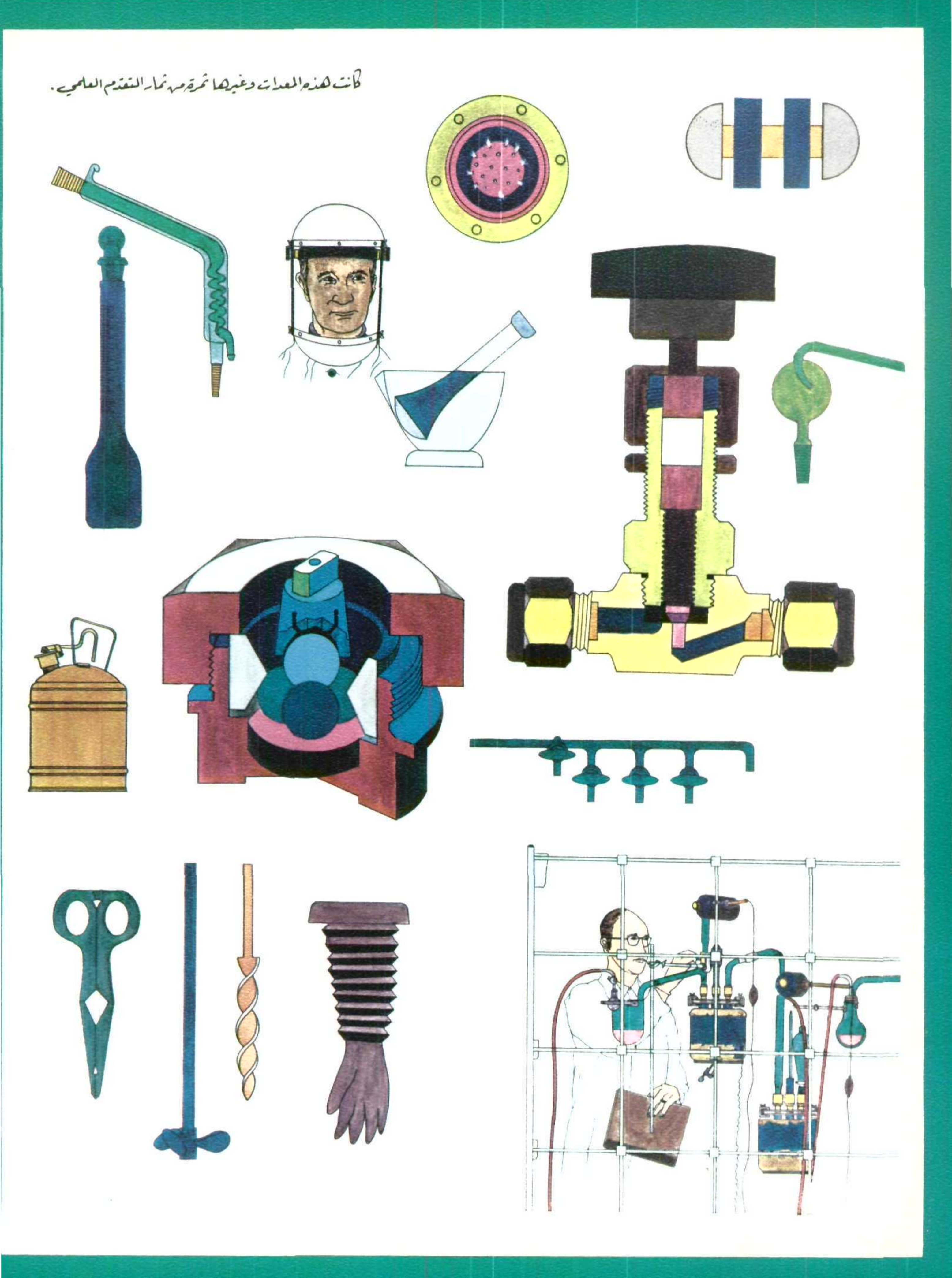
وهذه حادثة تروى عن عالم اشتهر بالذهول
وهي أنه عاد الى بيته في المساء فاستقبلته زو
سائلة : هل قرأت هذا ؟ لقد نشرت الجريدة
وفاتك فأجابها العالم دون وعي : أوه «هذا شيء م
حقاً ، ولا تنسي يا عزيزتي أن ترسلي الى أهله برق
تعزية ؟ ! » .

وهكذا ، فما أكثر الذاهلين ، في هذا الكون
وما أصدق القول في هذا الصدد : «سبحان من أو
في كل قلب ما أشغله» ! ●

لطفي ملحس — عمان — الأردن



العمل قائم لتثبيت عمود إزالة الكبريت .


كانت هذه المعدات وغيرها ثمرة من ثمار التقدم العلمي .